المشرق

اخوة واخوات يسوع

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

٢

آراء مختلفة

قال بعض مُفسِّري الكتاب المقدس ان العبارة «مريم التي لكلوبا» لا يُراد بها امرأة كلوبا بل شقيقتهُ. وقال غيرهم ان كلوبا هو حلفى الوارد اسمه في انجيل لوقا (٦ : ١٥) وفي اعمال الرُسل (١ : ١٣) : «يعقوب بن حلفى» . وان كلوبا وحلفى هما اسمان لمسمًّى واحد . فأُبدل اسم حلفى العبراني חַלְפַּי بالاسم اليوناني Ἀλφαῖος او Κλωπᾶς لان الاسم حلفى ، في اللغة الآرامية هو ܚܠܦܝ فصار بنقلهِ الى اليونانيَّة Κλωπαϊ او Κλπωᾶς كلوبا

لكننا لا نوافق على هذا التوحيد والابدال في الاسمين «حلفى» و«كلوبا» لان الاسم كلوبا Κλωπᾶς كما في انجيل يوحنا (١٩ : ٢٥) وفي مُقطَّعات هجزيب ، او كليوبا Κλεόπας كما في انجيل لوقا (٢٤ : ١٨) هو مُجتزأ من الاسم اليوناني Κλεόπατρος كليوباتروس .

ولهذا السبب قال آخرون ان كلوبا اسم رجل غير حلفى . وانه كان ليوسف البتول اخ اسمه كلوبا واخت اسمها مريم تزوَّجها حلفى . فأولد كلوبا سمعان ويهوذا واولد حلفى يعقوب ويوسى . فيقتضى هذا الرأي يكون اثنان من الستَّين اخوة يسوع ابني عم يسوع ، واثنان ابني عمته

الّا ان هذا الرأي لا يشرح لنا العبارة « مريم التي لكلوبا » بل يتركها مُبهمة. وقال غيرهم ان المرأة المسماة « مريم التي لكلوبا » هي شقيقة مريم العذراء. كان تزوجها حلفى ، فولدت له يعقوب ويوسى . ثم ترملت فتزوجها كلوبا شقيق يوسف البتول ، فولدت له سمعان ويهوذا . ويؤيدون قولهم بما ورد في انجيل يوحنا (١٩ : ٢٥) : « اخت امه مريم التي لكلوبا »

ان هذا الرأي يقرب من الحقيقة . الّا انه يبقى فيه شيء من الريب : أكانت « مريم التي لكلوبا » شقيقة مريم العذراء حقيقةً ام كانت فقط ابنة حميها كما هو المرجح (belle sœur) ؟

وقد اطّلعنا على رأي آخر للاب پرا اليسوعي [١] يقرب من الرأي السابق ، دون ان يفرض ان « مريم التي لكلوبا » هي شقيقة مريم العذراء . وإليك خلاصة هذا الرأي: ان كلوبا هو شقيق يوسف البتول كما يحقق ذلك هجزيب . فرُزق كلوبا من زوجةٍ اولى ولدين ، هما سمعان ويهوذا . ولما ماتت زوجته عقد زواجاً مع امرأة ارملة اسمها مريم لها ايضاً ولدان من زوجها المتوفى (يفرض الاب پرا انه حلفى) واسم ولديها يعقوب ويوسى . فكلوبا كشقيقه يوسف هو من سبط يهوذا ومن ذرّية داود الملك هو وولداه سمعان ويهوذا . امّا حلفى وولداه يعقوب ويوسى فانهم من سبط لاوي ، ومن عائلة كهنوتية . ومعلوم من انجيل لوقا (١ : ٣٦) انه توجد قرابة بين مريم العذراء ونسيبتها أليصابات امرأة زكريا الكاهن

ان هذا الرأي مقبول في اكثر اجزائه لكنه مردود في امرين : الاول في فرضه انّ « سمعان » ليس ابن « مريم التي لكلوبا » ومن ثم اخوه ايضاً يهوذا . مع ان هجزيب يؤكد ان سمعان هو ابن مريم التي لكلوبا ، اذ قال [٢]: « ان مريم التي لكلوبا ولدت سمعان ». فاذاً سمعان ويهوذا كانا ابني كلوبا من زواجه الثاني مع ارملة حلفى . وهكذا بطل الفرض الآخر الذي

١) Recherches de Science Religieuse. T. XVII. n° 2 (Avril 1927) p. 127-138

٢) مجموعة الآباء اليونانيين: المجلد ٥ ، العمود ١٣١٧

فرضهُ الاب پرا وهو ان كلوبا كان ارملاً وله من امرأته الاولى ولدان هما سمعان ويهوذا . ولا حاجة البتة الى هذا الفرض لانه يمكننا بدونه ان نفسّر تفسيراً صحيحاً مرضياً كل ما ورد في الاناجيل ، وفي تاريخ هجزيب ، عن اخوة يسوع ، كما صنع الاب پرا بكل ذكاء .

رابعاً

ان كلوبا شقيق يوسف البتول عقد زواجاً مع ارملة حلفى ، التي كان لها من حلفى ولدان هما يعقوب ويوسى . ثم رُزق كلوبا ، من زواجه هذا مع ارملة حلفى ، ولدين هما سمعان ويهوذا

فبمقتضى هذا الرأي نفهم جيداً اولاً : السبب الذي جعل الانجيليين يقرنون معاً ، على حدة ، اسمي يعقوب ويوسى ، لانهما ابنا مريم امرأة حلفى ولدتهما قبل ان تفقد زوجها : « مريم امّ يعقوب ويوسى »[١] (متى ٢٧ : ٥٦) . « مريم امّ يعقوب الصغير وامّ يوسى » (مرقس ١٥ : ٤٠و٤٧) « مريم امّ يعقوب » (لوقا ٢٤ : ١٠) . « يعقوب بن حلفى » (متى ١٠ : ٣ ، ومرقس ٣ : ١٨ ، ولوقا ٦ : ١٥ ، واعمال ١ : ١٣) . فاذا ذكر الانجيليون الاخوة الاربعة معاً تراهم يقرنون اسمي يعقوب ويوسى ، ويذكرونهما قبل سمعان ويهوذا ، لانهما اكبر في العمر ، حيث ولدتهما امهما قبل ان تتزوج بكلوبا . قال متى (١٣ : ٥٥) : « اخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا » . وقال مرقس (٦ : ٣) « أليس هذا هو النجار ابن مريم واخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان » . ومما يستحق الذكر هو ان يعقوب بن حلفى اشتهر اكثر بين اخوته ، لانهُ انتُخب اسقفاً اوّل على اورشليم . ولهذا السبب تُعرف امّهُ به خاصةً « مريم امّ يعقوب » . ولشهرته قال بولس الرسول (غلاطية ١ : ١٩) : « ولم أرَ غيرهُ من الرسل سوى يعقوب اخي الربّ » ولشهرته ايضاً قال يهوذا اخوه : « من يهوذا عبد يسوع المسيح واخي يعقوب » (يهوذا ١) . فلو كان يهوذا اخا يسوع المسيح بالحقيقة لكان افتخر بذلك وقال : من يهوذا اخي يسوع المسيح . لكنه لم يقل ذلك لانه

١) لم يُشغل يوسى وظيفةً تشهره كاخيه يعقوب ، ولم يرد له ذكر في الاناجيل الّا عرضاً حينما يُذكر مع اخوته (متى ١٣ : ٥٥ ، ومرقس ٦ : ٣)

ليس اخاه بل قال : « عبد يسوع المسيح » . وكذلك كتب يعقوب في بدء رسالتهِ : « من يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح » . فلم يُسمِ ذاته اخا يسوع المسيح بل عبده . اما يعقوب هذا فهو الرسول يعقوب الصغير غير الرسول يعقوب ابن زبدى

ثانياً : نفهم بايّ معنى يقول يوحنا في انجيله (١٩ : ٢٥) عن مريم التي لكلوبا انها اخت مريم امّ يسوع لانها صارت سلفتها (belle sœur) بعد ما تزوجت بكلوبا شقيق القديس يوسف

ثالثاً : نفهم لماذا يقول هجزيب ، اذ يتكلم عن سمعان ، انه ابن كلوبا . ولم يقل ذلك عن يعقوب ، لان يعقوب هو ابن حلفى « يعقوب الملقّب الصدّيق بعد ان استشهد على مثال الربّ وبسبب تعليمه الحقيقة ذاتها ، أُقيم اخوه سمعان ابن كلوبا عمّ الرب ، خلفاً له باتفاق الجميع على المناداة بهِ اسقفاً [لاورشليم] لانهُ هو ايضاً ابن عمٍ آخر للربّ » ١)

رابعاً : نفهم لماذا قال هجزيب عن سمعان ويهوذا انهما من ذرّية داود ٢) لان اباهما كلوبا شقيق يوسف البتول كان من ذرّية داود

خامساً : نفهم لماذا قال هجزيب عن يعقوب ٣) انه وحده كان يسمح له الدخول في الهيكل ، في المكان المخصّص للكهنة ، لانه كان ابن حلفى ومن عائلة كهنوتية . وقد اسهب هجزيب في وصف تقوى يعقوب وتقشفه ، واعتبار الشعب له ، واستشهاده

سادساً : نفهم لماذا قال هجزيب عن سمعان الذي خلف يعقوب كاسقف على اورشليم انه ابن عمّ آخر للربّ . ولم يقل عنه انه اخ دموي ليعقوب لانهما من ابوين مختلفين : فيعقوب هو ابن حلفى وسمعان هو ابن كلوبا

سابعاً : نفهم ما اخبر بهِ هجزيب ٤) من ان دوميتيانوس الملك اضطهد

١) مجموعة الآباء اليونان لمين : المجلد ٥ ، العمود ١٣٢١
٢) مجموعة الآباء اليونان لمين : المجلد ٥ ، العمود ١٣١٧
٣) مجموعة الآباء اليونان لمين : المجلد ٥ ، العمود ١٣٠٧-١٣١٣
٤) مجموعة الآباء اليونان لمين : المجلد ٥ ، العمود ١٣١٦

من كان بقي في ايامهِ من « ذرّية يهوذا المدعوّ اخا الربّ بحسب الجسد لانهم كانوا من ذرّية داود » . فانّ دوميتيانوس كان يخاف على ملكه في فلسطين من عائلة متسلسلة من داود الملك

فاذا فهمنا كل ذلك ، وتحققنا ان ما قلناه هو موافق لما كُتب في الاناجيل، ولما ورد في التقليد في تاريخ هجزيب ، نفهم ايضاً ان القرابة التي كانت بين السيد المسيح والاخوة الاربعة المسمَّين اخوة يسوع لم تكن من نوع واحد . بل اثنان منهم ، وهما سمعان ويهوذا ، كانا إبني عمّة كلوبا . امّا الاثنان الآخران ، وهما يعقوب ويوسى ، فكانا ابني امرأة عمهِ قبل زواجها بعمّهِ . ومن ثم لم يكن ممكناً ، عندما يُسمَّى الاربعة معاً ، ان تُطلق عليهم لفظة تعني قرابتهم المختلفة الّا اللفظة « اخوة يسوع » . وقد بيّنَّا ، في القسم الاول من هذه المقالة ، ان اللفظة « اخ واخوة » في اسفار الكتاب المقدس وردت بمعنى الاقارب بدرجات متفاوتة في القرابة

بعد ان أُطلقت هذه اللفظة « اخوة » على الاخوة الاربعة اقارب المسيح ، اذا ذُكِرت اسماؤهم كلهم معاً ، جرت العادة في ما بعد اذا سُمِّي احدهم بمفرده ان يُقال له « اخو الرب » او « ابن عمّ الرب » كما فعل هجزيب

. ان في البراهين التي اثبتناها من الكتاب المقدس ، ومن التاريخ ، كفاية ليعرف الحقيقة من لا يغمض عينيهِ عن النور

براهين اخرى

ولدينا براهين اخرى ليست اقلّ قوة من التي اوردناها لنبيّن ان الذين يُسمَّون اخوة يسوع ليسوا في الحقيقة الّا اقاربه . فاننا لا نجدهم ولا مرّة يُسمَّون اولاد مريم العذراء ، او اولاد يوسف ، بينما نرى دائماً يسوع يُسمَّى ابن مريم كصفةٍ خاصة بهِ ويُعرف بها « أليس هذا هو النجار ابن مريم » (مرقس ٦ : ٣) . كما ان العذراء تُعرف بابنها يسوع كوحيدها « مريم ام يسوع » (يوحنا ١٩ : ٢٥ واعمال ١ : ١٤) . وزد على ذلك اننا لا نجد لهؤلاء الاخوة ذكرًا او اثرًا عند سفر يوسف ومريم الى بيت لحم ، ولا عند هربها الى مصر ،

ولا في زمن طفولية يسوع ، ولا في حياته الخفيَّة مدة ثلاثين سنة . فلما صعد ابواه الى اورشليم في العيد لم يكن معهما الَّا يسوع ، وكان بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة . ولما افتقداه « كانا يطلبانه عند الاقارب والمعارف » حسب قول لوقا (٢ : ٤٤) . فلا يبعد ان هؤلاء الاقارب هم الذين يُسمَّون اخوته

وفي رأينا ان يوسف خطيب مريم العذراء توفي عندما ابتدأ يسوع حياته العمومية ، اي التبشير بملكوت الله . وكذلك كان توفي كلوبا شقيق يوسف . ولهذا السبب انضمَّت عائلة يوسف الى عائلة كلوبا ، وانتقلوا جميعاً الى كفرناحوم ، وسكنوا هناك : « وترك الناصرة وجاء فسكن في كفرناحوم ، التي على شاطئ البحر » (متى ٤ : ١٣) (١ . ومذ ذاك الوقت تظهر اقوال وافعال المسمَّين اخوة يسوع ، ومقاومتهم له في بدء تبشيره ، ثم ايمانهم به

ولا حاجة الى القول بانه لو كان ليسوع اخوة حقيقيون ، لما كان وهو على الصليب أوصى بامهِ غريباً اي يوحنا الحبيب ، ولما كانوا تركوا دفنه للغرباء منهم نيقوديموس ويوسف الذي من الرامة

الاعتراضات

الَّا ان من يقولون بان المسمَّين اخوة يسوع هم اولاد مريم ويوسف يسندون قولهم الى الآية « لم يعرفها (يوسف) حتى ولدت ابنها البكر » (متى ١ : ٢٥) فيقولون ان الابن البكر يستلزم اولاداً بعده . وقوله : « لم يعرفها حتى ولدت » يستلزم انه عرفها بعد ما ولدت ابنها البكر

فعلى هذا الاعتراض نجيب : ان اللفظة « البكر » هي خاصة بالابن الاول ،

١) ان انتقال يسوع من الناصرة الى كفرناحوم كان بتدبير الحكمة الالهية . فانَّ مدينة كفرناحوم كانت قريبة من حدود ولاية فيلبس . فكان يتسنى ليسوع ان يترك سريعاً ولاية هيرودس انتيباس ، في الجليل ، ويعبر الى ايطورية في ولاية اخيه فيلبس ، وينجو هكذا من شر انتيباس قاتل يوحنا المعمدان . ثم ان كفرناحوم كانت مدينة عظيمة حافلة بالسكان ، ومحط المسافرين من سورية الى مصر ومن مصر الى سورية . فكان من ثمَّ للبشارة بملكوت الله انتشار اعظم . هذا فضلًا عن ان موقع كفرناحوم على شاطئ بحر طبرية كان يسهّل ليسوع الانتقال بحرًا من تلك المدينة الى المدن والقرى التي حول ذاك البحر

اي بالمولود الاول ، سواء كان له اخوة بعده أو لم يكن . فقد جاء في رسالة بولس الرسول (عبر ١ : ٦) عن ابن الله الوحيد : « وحين يُدخل البكر الى المسكونة ثانيةً يقول ولتسجد له جميع ملائكة الله » . وكلٌ يعلم ان ابن الله ليس له ، ولا يمكن ان يكون له ثانٍ . ومع ذلك يُسمى « البكر » . فاذا قيل عن يسوع المسيح انه بكر العذراء . فلا تستلزم هذه اللفظة ان يكون له اخوة بعده

اما قول الانجيلي عن يوسف انهُ « لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر » فلا يُستفاد منه انه عرفها بعد ميلاد المخلِّص . انما المراد من هذه العبارة هو ان يوسف لم يعرفها ، حين كان يُمكن الظنّ انه عرفها ، حيث كانت حبلى وكان رجلها . فلا يُستنتج من ثم انه عرفها في ما بعد . فلو قلنا مثلًا: سافر زيد بحرًا ولم يشعر بالدوار حتى خرج الى البرّ ، فهل اللفظة « حتى » تستلزم ان يكون شعر زيد بالدوار بعد ان خرج الى البرّ ؟ لا لعمري ! انما المراد انه ، لما كان ممكناً ان يشعر بالدوار اذ كان راكباً البحر ، لم يشعر بهِ . وهكذا القول في ما يخصّ مريم العذراء ويوسف رجلها . فثبت اذًا ان اللفظة «حتى» لا تستلزم ان يكون يوسف عرف العذراء بعد ميلاد يسوع

ويعترضون بقولهم ان العهد الجديد يميّز بين الاثني عشر رسولًا واخوة يسوع ، وان اخوة يسوع لم يكونوا يؤمنون به . ويستنتجون من ذلك ان المسمّين اخوة يسوع ليسوا الاشخاص المذكورين في مصفّ الرسل ، وقد قلنا عنهم انهم اقاربه لا اخوته الحقيقيون . ويوردون آية يوحنا (٧ : ٣ و ٥) « قال لهُ اخوتهُ تحوّلْ من هنا واذهب الى اليهودية ، ليرى تلاميذك ايضاً اعمالك ... لانّ اخوته لم يكونوا يؤمنون بهِ» . والآية (يوحنا ٢ : ١٢). «وبعد هذا انحدر الى كفرناحوم ، هو وامه واخوته وتلاميذه». والآية (اعمال ١ : ١٤):« هؤلاء (اي الاحد عشرُ رسولًا) كانوا مواظبين على الصلاة بنفس واحدة مع النساء ومريم امّ يسوع ومع اخوته »

فنجيب على هذا الاعتراض اولًا : ان بولس الرسول يؤكد عن بعض الذين يُسمّون اخوة الرب انهم كانوا من عدد الاثني عشر رسولًا ، اذ قال في رسالتهِ

الى اهل غلاطية (١ : ١٩) : «ولم أرَ غيرهُ من الرسل سوى يعقوب اخي الرب».ثانياً : لا مانع من ان يكون اخوة يسوع من جملة الرسل وان يُخصّوا مع ذلك بالذكر على انفراد ، كما فعل بولس الرسول اذ كتب (١ كور ٩:٥): «أمَا لنا سلطان ان نجول بامرأةٍ اختٍ كسائر الرُسل واخوة الرب وكيفا» . فان كيفا اي الصفا هو من جملة الرسل ، ومع ذلك افرده بولس بالذكر لتقوية المعنى المقصود . وهكذا القول عن اخوة يسوع اذ خُصّوا بالذكر وان كانوا من جملة الرسل . هذا فضلًا عن ان بعضهم ، وهو يوسى اخو الرب ، لم يكن من الرُسل . وفي رأينا انه كان ليسوع اقارب غير المذكورين في الانجيل

يؤيد هذا الرأي ما ورد في انجيل مرقس(٣ :٢١)فان الانجيلي بعد ان ذكر اسامي الاثني عشر رسولًا ، انهم كانوا في بيتٍ مع يسوع ، واجتمع جمعٌ حتى لم يقدروا ولا ان ياكلوا خبزًا. قال «وسمع ذووه فخرجوا ليمسكوه لانهم قالوا انه شارد العقل».فاذًا كان ليسوع اقارب غير الذين كانوا رسلًا . على اننا ، وان سلّمنا بان المسمَّين اخوة يسوع لم يكونوا من مصفّ الرسل ، فهذا لا يُضعف البراهين التي تُثبت انهم ليسوا اخوة يسوع حقيقة بل اقاربه ، وذلك لاننا بيّنّا ابويهم الحقيقيّين المختلفين عن مريم امّ يسوع وخطيبها يوسف

امّا قول الانجيلي يوحنا ان اخوة يسوع لم يكونوا يؤمنون بهِ ، فنجيب عليهِ انهم لم يكونوا يؤمنون بهِ في البدء ، ثم آمنوا بعد ان عاينوا المعجزات الباهرة التي صنعها يسوع ليحقّق انهُ المسيح ابن الله . ونرى الرسل انفسهم ، حتى في يوم القيامة وبعده لا يكادون يؤمنون.قال متى (٢٨ :١٧):«لما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكّوا» وقال مرقس (١٦ :١٤) : «اخيرًا تراءى للاحد عشر وهم متكئون وبكّتهم على عدم ايمانهم وقساوة قلوبهم ، لانهم لم يصدّقوا الذين رأوه قد قام» . امّا ان اخوته آمنوا بهِ فالدليل على ذلك هو اننا نراهم ، في العليّة ، مواظبين على الصلاة يستعدّون لقبول الروح القدس ، الذي وعدهم بهِ يسوع «لا تبرحوا من اورشليم بل انتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني . . . امّا انتم فستُعمَّدون بالروح القدس بعد ايام غير كثيرة» (اعمال ١ : ٤ و ٥) فكان اذًا عدم ايمان اخوة يسوع تبدّل بايمان حي

ولنا الامل الوطيد ان الذين لا يؤمنون في ايامنا هذه ايام الانهاك في الخيرات الدنيوية والامور العالمية ، سيؤمنون بما اوحاه الله وتعلّمنا اياه الكنيسة المتعلّمة من الروح القدس ، والتي وعدها مؤسسها يسوع المسيح ان يكون معها الى منتهى الدهر

الاعشى الاكبر (٦٢٢ او ٦٢٩م)

بقلم الاديب ميشيل سليم كميد

١

توطئة

اذا ذُكرت الجاهلية تبادر الى الاذهان ذكرى ذلك العهد البعيد ، الذي روى عنه الرُّواة ما شاؤوا وشاءت مخيّلتهم ، واودعوا كتاباتهم من مولّدات مخيّلاتهم ما ارادوا . فاصبح ذلك الزمن واخباره اشبه بقصص الف ليلة وليلة ، واقرب اليها منه الى الحقيقة . واذا قرأ المرء الآن ما خطته انامل اولئك الكتبة ، وما اوحت اليهم القريحة المختلقة ، طارت نفسه الى عالم الخيال ، وتوهم معيشة تلك الجماعات من البدو اسمى واعلى بكثير من معيشتنا الحالية ، في حين كانت الارض فراش الاعرابي ، والسماء غطاءه ، في اكثر الاحايين ، واكله الارانب والجراذين والثعابين ، وما تحويه الصحراء من امثال هذه الدويبات الدنيئة . وهكذا نسجت حول قطاحل شعراء الجاهلية خيوط الاوهام ، وحبكت لهم فصول روايات كثيرة . ومن هؤلاء الذين كثرت حول اسمهم الاساطير عنترة والنابغة والاعشى . ونختار الآن موضوعنا الاخير ، فقد عظّم الرواة شأنه ، وابدعوا في وصف مركزه ، لدى ملوك العرب ، ومساجلاته . بيدَ ان الامر لا يخلو من بصيص من الحقيقة ، وليس من دخان بلا نار . ولكنهم اتخذوا من الاعشى موضوعاً لبعض مشاحناتهم في صدر الاسلام ، واستغلوه تأييداً لدعوى بعضهم .

الرجل

الاعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ، ويعرف بأعشى قيس أو الاعشى الاكبر ، ويكنى بابي بصير . وُلد في النصف الاول من المئة السادسة للسيد المسيح . وكان يقال لابيه ، قيس بن جندل ، « قتيل الجوع » . وسبب ذلك انه دخل غارًا ، يستعدي فيه حرّ الهاجرة ، فسقطت صخرة سدّت فم الغار . وقيل في هجوه :

ابوك قتيل الجوع ، قيس بن جندلٍ وخالك رقّ من خماعة راضعُ

والاعشى شاعر من الطبقة الاولى بين شعراء الجاهلية ، يجمع في شعره كثيرًا من وصف الخمر والصيد وبعض المجون ، اشتهر بكثرة مديحه وهجائه . وقد قضى حياته متنقلًا بين أحياء العرب . وحريّ بمن كان صاحب لهو ولذة وطرب ، وجليس صهباء ، وأنيس اقداح ، ان يتنجع اقاصي البلاد ، ويطوف بالقوم يتملّقهم ، وينابذ من عاداهم . وبلغ بالرواة ان رووا ، في شدّة تعلقه بالخمر ، انه حين ادرك الاسلام احجم عنه ، ولِمَ ؟ ليستوفي ما بقي لديه من بنت الكرم في المهراس . وكان يقول شعره غناء ، والعرب تدعوه « صناجها » .

قيمة شعره

قيمة شعره والرواة

اتفقت آراء الرواة والكتاب ان الاعشى من اعلام الشعر الجاهلي . وراجت حوله الاشاعات ، وتنوقلت القصص عن مبلغ تأثير شعره في احياء العرب . وان يكن بينها ما هو على شيء من الصحة والحقيقة ، فلا شك أن يد المبالغة قد لعبت دورها فيها كسائر اخبار الجاهلية . وفيما يلي بعض منها :

اخبر ابن سلام قال : سألت يونس النحوي : « من اشعر الناس ؟ » . قال : « لا أومئ الى رجل بعينه ، ولكني اقول : امرؤ القيس اذا غضب ،

والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب . » وقال يحيى بن الجون العبدي ، راوية بشار : « نحن حاكة الشعر في الجاهلية والاسلام ، ونحن اعلم الناس به : اعشى بني قيس استاذ الشعراء في الجاهلية ، وجرير بن الخطفى استاذهم في الاسلام .»

وروت الرواة ايضاً ان يحيي بن سليم الكاتب ، بعثه المنصور الى حمّاد ، يسأله عن أشعر الشعراء . قال : فأتيت باب حمّاد ، فاستأذنت . وقلت : « يا غلام . » فأجابني انسان من اقصى بيت في الدار . فقال: « من انت ؟ » فقلت: « يحيي بن سليم ، رسول امير المؤمنين . » قال : « ادخل رحمك الله . » فدخلت حتى وقفت على باب البيت . فاذا حمّاد . فقلت : « ان امير المؤمنين يسألك عن اشعر الناس . » فقال : « نعم . ذلك الاعشى صنّاجها . »

هذا بعض مما تتناقله الكتّاب ، من حيث مركز الاعشى وقيمة شعره ، وجودته ، وسيرى القارئ في التالي بعض ميّزات الشاعر عن شعراء العرب في تلك الايام ، عند الكلام عن شعره .

تأثير الشعر عند العرب

كان من اكبر المؤثرات في اعصاب العرب الشعر في الجاهلية ، والدين والشعر في الاسلام . والشاعر عندهم بمنزلة الخطيب الآن عند جميع الامم . وايضاً في كثير من الاحايين ما كانت لتؤثر فيهم العصبية لولا الشعر . فكم من قصيدة غيّرت مجرى الامور والاحوال ، بل كم من بيتٍ اسعر الحروب ، وكم من بيتٍ ضربت لاجله الاعناق او عفيت اعناق ؟ !

وقد بقي للشاعر ، حتى في الاسلام ، مركز عظيم ، وشرف يناله حيث حلّ وانّى ذهب . على انه لا يضارع ما كان له في الجاهلية ، حيث كان موضع كل اكرام ، وعنوان احترام كل اعضاء القبائل . ولا يمكننا ان نقدر مركزه ، إلّا حين نعلم انه كان قائد قومه بلسانه ، وامامهم ، وخطيبهم ، وحليمهم وحكيمهم وحَكَمهم ، والذابّ عن اعراضهم امام تخرّصات الاعداء . وقد كاد يكون الكل في الكل ! ... والاعشى هو اول من

اتخذ من الشعر متجرا يتجر به . ومن ايامه تفشّى هذا الداء العضال ، داء الضراعة . وممن والاه ، وكان معه من اساطين هذه الصنعة ، النابغة الذبياني. ومن ثمّ اتُخذ الشعر اداة للتسوّل ، وكسب الرزق ، وسرى هذا الداء في الشعراء ، سريان النار في الهشيم ، الى يومنا هذا.

وقد روت الرواة ان القبائل كانت تتهافت على اكرام الاعشى ، وتتسابق الى الحصول على رضاه. وتحدثوا ان قريشاً ، حين رصدته في طريقه الى محمدٍ ، كي ترجعه عنه فيذمّه ، وكانت تخاف ان يفوتها اليه فيمتدحه ويرفع ذكره بين العرب ، كانت تتحدث فيما بينها : « هذا صناجة العرب ، ما مدح احداً قط الا رفع قدره . » ومن هنا يظهر المركز الذي كان يحتلّه في تلك الايام ، وكيف كانت تتخوّف العرب من الشعراء. فبينا كانت تستزري من يتكسب بشعره ، وتعتبر ذلك حطّة من قدره ، كانت تجلّ الاعشى وتقدمه على سائر الشعراء . ومع انها كانت اوانئذ تتمادح وتتهاجى ، فلم تكن تتخذ الشعر اداة ضراعة ، ولا سعياً وراء الرزق ولا طمعا في مالٍ ونوال . بل كانت تمدح من يعاملها بالحسنى وتهجو من يشاكسها او يعاديها . ولكن الاعشى عرف كيف يغريها ويستهويها بفصاحته وقوة عارضته .

رووا ان الاعشى كان يوافي سوق عكاظ في كل سنة . وكان المحلّق الكلابي مئناثاً مملقاً . فقالت له امرأته : « يا ابا كلاب ، ما يمنعك عن التعرض لهذا الشاعر ، فما رأيت احدًا اقتطعه الى نفسه إلا اكسبه خيرًا . » قال : « ويحكِ ، ما عندي إلّا ناقتي وعليها الحمل . » قالت : « الله يخلفها عليك باحسن منها . » قال : « فهل له بدّ من الشراب والمسوح ؟ » قالت : « ان عندي ذخيرة لي ، ولعلي ان اجمعها . » فجمع نفسه ووافاه قبل ان يسبقه اليه احد ، وابنه يقوده . فأخذ بالخطام . فقال الاعشى : « من هذا الذي غلبنا على خطامنا ؟ » قال : « المحلّق . » قال : « شريف كريم . » ثم سلّمه اليه فاناخه . فنحر له ناقته. وكشط له عن سنامها وكبدها ، ثم سقاه . واحاطت به بناته فقال : « ما هذه الجواري حولي ؟ » قال : « بنات اخيك ، وهنّ ثمان شريدتهن قليلة . » وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئاً . فلما وافى

سوق عكاظ ، اذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها . واذا الاعشى قائم ينشدهم :

لعمري ! لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ الى ضوء نارٍ باليفاع ، تحرّقُ
تُشبُّ لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلّقُ
رضيعَي لبانٍ ثدي أمّ تحالفا باسحم داجٍ عوض لا نتفرقُ

فسلّم عليه المحلّق . فقال له : « مرحباً يا سيدي بسيد قومه . » ونادى : « يا معاشر العرب ، هل فيكم مذكار يزوّج ابنه الى الشريف الكريم . فما قام من مقعده ، وفيهن مخطوبة إلا وقد زوّجها . » ١)

من هذه القصة نستخلص كيف كان العرب يداهنون الشاعر ، ويضيفونه ويجاملونه . فان من عاداتهم ان يكرموا الشاعر ، ليكون لهم من جرّاء ذلك الصيت الحسن والسمعة الطيّبة . فان الاعرابي من طبيعته ايام المحل ، ان يسعى الى الغزو ، لا يراعي في ذلك جاراً ولا عهداً . فاذا ما اضاف ، فمل ذلك استجلاباً لمنفعة . فاذا مرّت عليه « سنون طيبة ، ونزلت الامطار الغزيرة ، فأنعشت تلك الوحدة ، ونفخت اضراع سائمته . تذكر سليلُ اسماعيل جدّه ابراهيم . فيتبدل حالاً الى سيد عظيم ، ويضيف بكرمٍ . خصوصاً اذا وجد في جواره شاعراً ، يشيد بذكره في اربعة اطراف بلاد العرب — حيث الشاعر بمثابة الصحافي ، متحكم بالآراء — ويروي اخبار كرمه . لانه يحب التعظيم ، وهو ذو حاسة بجاذبية الاشعار الجميلة . ويعتقد ان الصيت الحسن يستحق الجلب بالذهب » ٢) فالشعر يستهويه ، فيقري الضيف ، ويأتي بالمكرمات على امل اذاعة صيته بين العرب ، واشتهاره بالكرم والسخاء . وكلنا يعلم اخبار حاتم طيّ ٣)

(للبحث صلة)

---

١) وفي الاغاني رواية مخالفة لهذه الحادثة اذ يجعل الجواري اخوات للمحلّق . (المشرق)

٢) H. LAMMENS S. J. : L'Islam, Croyances et institutions. (Hospitalité) p. 14

٣) نحن لا نميل الى تصديق كثير من روايات حاتم ، بل نحن اميل الى الاعتقاد ان حاتماً نفسه ما هو إلا حديث خرافة . وما اخباره إلا مزاعم الفت في صدر الإسلام ، في اوان تغلبت فيه العصبية وسادت به التحزّبات . وهذه الرواية ، وان لم يكن للحقيقة فيها كبير اثر ، ما اوردناها إلّا لانها اشهر قصة في الجاهلية ، فيها يظهر ميل الاعراب الى جلب الصيت والاسم الحسن ، وانه هدفهم الاسمى وغرضهم الاقصى .

اللاسلكية*

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ، ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

لقد بيَّنّا ، في العدد السابق ، نظرية اللاسلكية في الارسال والقبول ، وبذلنا الجهد حتى يكون شرحنا سهل الافهام ، على الرغم من صعوبة المادة. فيجدر بنا الآن ان نلقي نظرةً على فوائد هذا الفن. والبحث يتناول استخدام القوة اللاسلكية في التلغراف ، والتلفون ، وادارة المحركات والتصوير عن بعد (Télémécanique et Télevision)

التلغراف اللاسلكي

اول ما استُخدم فن اللاسلكية في المواصلات التلغرافية ، وقد المعنا سابقاً الى تجارب ماركوني ، على شواطئ بحر المانش بين فرنسة وانكلترة . وعلى اثر ذلك تألفت شركة عمادُها العالِم المذكور لتحقيق المواصلات - اللاسلكية بين الشواطئ الانكليزية والسفن والبواخر القادمة اليها . ثم قامت تلك الشركة ببناء خطٍ لاسلكي بين اميركة وانكلترة ، وهو عملٌ يُذكر . كيف لا وكل يعلم ان نفقات حبل تلغرافي ، بين القطرين ، يستغرق ملايين من الذهب . هذا اذا ضربنا صفحاً عمّا يعترض مدّه واصلاحه من الصعوبات والمخاطر . فلمّا مدّ اول حبل تلغرافي بين اوربة واميركة سنة ١٨٦٥ ، استلزم نقل الاسلاك بناء باخرةٍ مخصوصة ، دُعيت لضخامتها « لوياثان » (Léviathan) وهي اعظم ما شاهد ذلك العصر . اما طولها فبلغ الخمسمائة متر . وعرضها الخمسة

---

* تكرّم باعطاء الصور المنشورة في هذه المقالة السيد دلان (M' Delagnes) مدير الراديو في بيروت . فنشكره

والعشرين ، يديرها دولابان قطرُ كل واحد منها عشرون متراً . وطول الحبل كان اربعة آلاف كيلومتر ، ووزنه خمسة آلاف طن . وثقل الوزن هذا سببه اغلافٌ من المطّاط والطبرخي ، يحميها شريطٌ فولاذي ، يحفظ السلك المعدني من تأثيرات املاح البحر. فنُّ اللاسلكية اليوم يُغنينا عن تلك الاعمال الجبارية

وقد كانت الحربُ دافعاً قوياً لزيادة المراكز اللاسلكية في المخابرات التلغرافية ، فاظهرت المانية تفوّقاً على اقرانها ، بعد ان قطع لها الحلفاء حبل مواصلاتها مع مستعمراتها في افريقية . وكان في فرنسة مركزان : مركز برج ايفل ، ومركز ليون لمخابرات روسية ورومانية وسالونيك واميركة . ومركز ليون هذا بُني بماكناتٍ كانت قد أُعدَّت لبلدة سايغون (Saïgon) في الهند الصينية . وهي اكبر مستعمرات فرنسة في آسية الشرقية ، فحالت الحربُ دون ارسالها

ولمّا دخلتِ الولايات المتحدة في جانب الحلفاء بنت مركز لافايت (La Fayette) ، قرب بوردو في فرنسة ، تسهيلاً للمواصلات بين الدولتين . وقد ساعدت الحكومة الفرنسية على بناء المركز وقتئذٍ بتقديم الارض واليد العاملة . على انها بانتهاء الحرب ، استخلصت من الحكومة الاميركية المركز بكامله فاصبح مع المراكز السابقة ومركز كوردانس تحت ادارة وزارة البرق والبريد

ثم تأسست بعد الحرب شركة «راديو-فرانس» لتحقيق العلاقات اللاسلكية بين فرنسة وعواصم العالم ، فبنت مركز سانت اسيز (Saint assise) وهو من اعظم المراكز اللاسلكية . ومركز سانت اسيز هذا هو مجموع مراكز صغيرة تصل باريس باحدى المدن الآتية : بيروت ، نيويورك ، ريو ده جانرو ، بوينوس آيرس في الجمهورية الفضية ، توكيو في اليابان ، بكين وموكدن في الصين . وقوة المجموع تربو على الالف حصان

امّا مركز بيروت (١ وموقعه «خلدة» على مقربةٍ من العاصمة اللبنانية ، فقد تمَّ بناؤه سنة ١٩٢٢ بسعي شركة راديو-اوريان . والرسم ١ يمثّل منظر المركز الخارجي ، وقربه العمود الحامل الشريط القابل والباعث بشكل قمع

١) نضرب صفحاً عن مركز نهر الموت للعسكريين ، بين بيروت والجديدة.

او مظلّة . وعلوّ العمود هذا ٢٥٠ مترًا ، وهو مرتكز على قاعدة من البطون ومسنود من جانبيه الى اسلاكٍ فولاذية مربوطة باوتادٍ في الارض . وداخل البناية مركّب من اربعة مراكز باعثة :

الاول : باعثٌ مزدوج — اي مؤلف من مجموعين متشابهين ، يسير احدهما ويبقى الثاني ليُستخدم عند الحاجة ، فيما لو وقع خللٌ في الاول . وقوة كلٍّ من المجموعين ٣٤ حصانًا — وهو مصنوع لمجرى عالي التكرار يولّده مولدتان كهربائيتان ، يديرهما محركان كهربائيان ايضاً

الثاني : باعثٌ لتموّجات قصيرة يشتغل بواسطة القناديل ، وقوته ١٦ حصاناً

الثالث : باعث ذو تموّجاتٍ مائلة ، لمخابرة السفن والبواخر

الرابع : باعث للاختبارات ذو تموّجاتٍ قصيرة ، قوّته ثلاثة ارباع الحصان .

امّا المجرى اللازم لإدارة المحرّكين الكهربائيتين فيؤخذ من شركة الجر والتنوير في بيروت ، بواسطة اسلاك مدت خصوصاً ، في العام الماضي ، فوق اعمدة من البطون . يصلُ هذا المجرى وهو متناوب ، الى المركز فيحوّل بواسطة آلة كهربائية تدعى (commutatrice) الى مجرًى مستمرّ يُستعمل لإدارة المحركات. وقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لعدم وقوف الاشغال ، اذا امتنعت بيروت عن تقديم المجرى ، لخللٍ في الاسلاك او عطلٍ في الآلات ، فجيءَ بمحركٍ على الزيت الوسخ او المازوت ، يستعمل عند الضرورة

وعدد المستخدمين في مركز خلدة اثنان او ثلاثة . واشغالهم متوقفة على انتظار الاوامر من مركز بيروت ، قرب المرفأ ، لتسيير الماكنات او ايقافها ، والمشارفة على حسن سيرها . امّا البرقيات فترسل من بيروت بواسطة سلكٍ تلغرافي بين المركزين ، فاذا بلغت خلدة مرّت راساً دون وسيط سوى وصلٍ كهربائي مغنطي (relais électro-magnétique) . وكذلك البرقيات القادمة من باريس فانها تصل راساً الى بيروت بعد مرورها بالمركز اللاسلكي ؛ وفي تلك الطريقة من الحكمة ما لا يُنكر . فلو جُعل مركز قبول البرقيات في خلدة بعيدًا عن العاصمة ، لما قبل به الذوق السليم ومصالح الشعب ، ولو نقل

مركزُ البعث من خالدة الى بيروت ، لما وُجدت له المساحة الكافية من الارض ، او دفع ثمنها اضعاف الاضعاف

ولا يحسب الناس ان اللاسلكية سوف تبتلع الخطوط العادية في التلغراف . فالاثنان يتكاتفان لمنفعة الانسان ، ولكل نطاقُ عمل محدود . فاللاسلكية تستوعب المواصلات الدولية ، والمراكز العادية تحتفظ بالمواصلات الداخلية ، وفي ذلك اقتصادٌ ظاهر . فلو شاءت ادارة البرق والبريد في لبنان مثلًا تحقيق علاقاتٍ لاسلكية بين بيروت ودمشق ، لاضطرت الى بناء مركزين ، وتعيين فنيين اختصاصيين لا يرضون براتب المستخدم البسيط . فالحكمة تقضي بان تبقى المخابرات بين البلدان القريبة الوصول ، السهلة العلاقات ، سلكيةً محضة

اللاسلكية في خدمة البحرية

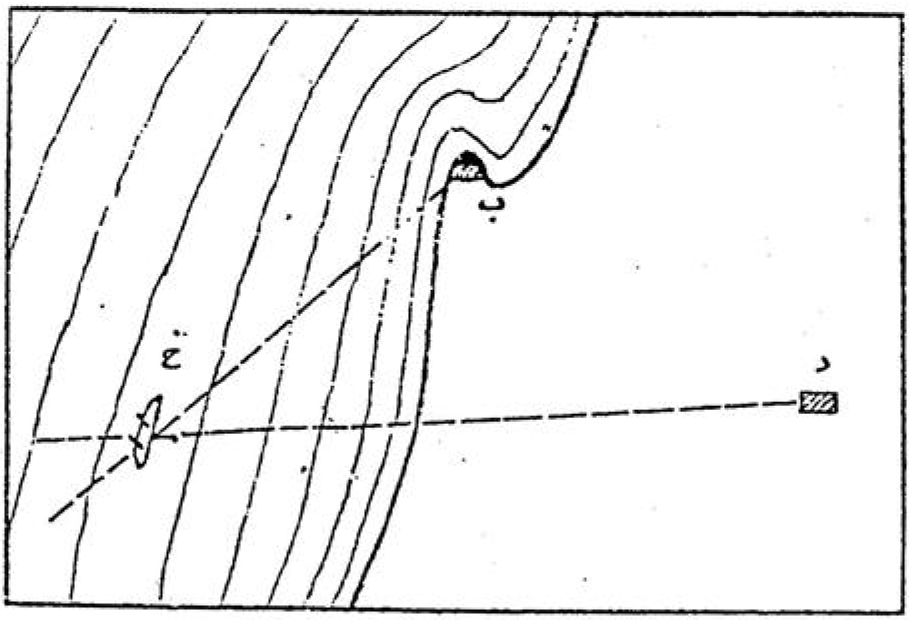
لقد سردنا منافع اللاسلكية في المواصلات الدولية برًا وبحرًا . على ان خدماتها في سبيل البحرية اجلّ من ان تُنكر ، وهنالك من السفن والبواخر والبوارج ما تملأ البحار وليس لديها من وسيلةٍ للنجاة ، ساعات الويل والرعب، سوى ذلك السلك الممدود فوقها ، الناشر في الفضاء اصوات الاستغاثة والنجدة . وكثيرًا ما كان صدى تلك الاصوات دخانًا مقتربًا يلمع فيه بارق الامل والنجاة

واللاسلكية في البحر باعثٌ للسلوى واستقصاء الاخبار ، وهي ، لمن نأوا عن الاوطان والارض اليابسة ، صلة بينهم وبين من كان لديهم عزيزًا . وكم من البواخر اليوم حملت مع المركز التلغرافي مركزًا تلفونيًا يَنشر عند المساء ، على اسماع الركاب الحانًا موسيقية اتت من بعيد فوق اجنحة النسيم.

هذا في السفن التجارية اما في الحربية فمن ينكر منافع اللاسلكية ، واخبارُ الحربِ الاخيرة شاهدة بها . فهنالك بارجة تستنجد ، وغوّاصاتٍ تتلقص حركات العدو فتعلم بها القيادة العامة ، وهلم جرّا

ولا بد لنا من كلمة عن قياس الزوايا باللاسلكية (Radiogoniométrie) وهو فنّ تُعرف به نقطةُ باخرةٍ في البحر ، او طيارة في الجوّ ، منعها الضباب او خلل في البوصلة من تحديد موقعها الجغرافي . واساسُ هذا الفن ميّزةٌ خاصة

بالإطار القابل . قلنا انه في كثيرٍ من الاحوال يُستبدل الشريط القابل لجمع التموّجات الهرتزية وادخالها على المركز اللاسلكي ، بإطارٍ يُجعل ضمن المركز او الغرفة او البيت. وهذا الإطار كناية عن جهازٍ خشبي ، مستدير او مثمّن ، لُفّت عليه بعضُ دوراتٍ من الشريط . والنقطة الجوهرية هي أنّ ذلك القابل لا يجمع من التموّجات الّا ما يكون متجهاً لخطّة المركز الباعث ، اي عمودياً لها . فلو احببنا سماع مركزٍ في دمشق مثلاً ، برمنا الاطار القابل على محوره حتى نسمع المركز الباعث باشدّ قوة ممكنة ، فكان لنا بذلك طريقة لمعرفة خطة دمشق وهي مقابلة لسطح الإطار اي عمودية له . فلو فرضنا الآن باخرةً في البحر ضلّت طريقها ، لمكنتنا تلك النظرية من تحديد خطين :



الرسم ٣: معرفة نقطة باخرة في البحر باللاسلكية ب: بيروت، د: دمشق، خ: الباخرة

خط مركز بيروت ، وخط مركز آخر (دمشق مثلاً) . فكان لها ، بالتقاء الخطين ، وسيلة لمعرفة نقطتها الجغرافية . وكثيراً ما يُجعل العمل بالعكس اي ان الباخرة او الطيارة تستعلم عن موقعها لاسلكياً . فاذا سمعها مركز بيروت ، رسم على الخارطة من بيروت الخطة التي حدّدها بواسطة الإطار القابل ، ثم استعلم من مركز دمشق عمّا اذا كان سمع نداء الباخرة ، وعن الخطة التي حددها ذلك المركز ، فيرسمها على خارطته ايضاً ؛ وتقاطع الخطين يعطيه

موقعَ الباخرة فيعلمها به لاسلكيًا (انظر الرسم ٣) . وقد استعمل الالمان تلك الطريقة ايام الحرب في الطيران ، فكانوا يرسلون طياراتهم ويعلمونها من حين الى حين عن موقعها الجغرافي بواسطة مركزين ارضيين

اللاسلكية والطيران

إنَّ في الجوّ ، كما في البحر ، اخطارًا ومصائد سلْ عنها من حاولوا عبور الاتلانتيك العام الماضي ، من ننجسر وكولي الطيّارين الشهيرين الى لندبرغ الاميركي وقد اسعده الحظ بالنجاة وحلول باريس قادمًا من اميركة ، وحيدًا في طيّارته . فاللاسلكية درعٌ يتدرَّع بهِ الطيّار ضدّ تلك الاخطار ، فيجدد في نفسهِ الامل والنشاط . وان وُجد من لم يُنجهم التلغراف اللاسلكي من الهلاك كننجسر وكولي ، فكم هنالك غيرهم ممن كانت لهم تلك الآلة الصغيرة خشبة الخلاص والنجاة

والمخاطر التي تعتري السابحين في الفضاء هي عواصفُ وزوابع تضطرهم الى تغيير خطتهم او الى الصعود او الهبوط في طبقات الجو . ومنهم من غمرتهم الغيوم الكثيفة ، فاضلّتهم الطريق وارغمتهم على الرجوع ، كما يحدث غالبًا للطيارات التجارية بين باريس ولندرة . وفي هذه الاحوال يتمكن سائق الطيارة ، او معينه الجالس الى الآلة اللاسلكية ، من مخابرة مركز الطيران الذي سار منه ، والاستعلام عن حالة الجو من مركز البلد السائر اليه

واذا كان التلغراف اللاسلكي ذا منافع في الطيران ايام السلم ، فمنافعه اجلُّ واثمن اثناء الحرب ، وقد بيّنّا فوائده في تحديدِ نقطةِ الطيّار . ثم لا ريبَ اليوم في أنَّ كثيرًا من المعارك التي كسبها الحلفاء ابَّان الحرب الكبرى سببها ما أُدلت اليهم به من التعليمات عن حالة العدو وعدده واستعداده ، تلك الطيارات الكشَّافة التي كانت تحوم فوق مخابئه فترصده وتعود مفشية اسراره

في بعض استخدام اللاسلكية

ومن اغرب استخدام اللاسلكية الذي اشغل عقول المهندسين والعلماء فنَّا التلفزيون والتلمكانيك (télévision et télémécanique) . فالاول يبحث

عن ارسال الرسوم والصور باللاسلكية ، والثاني اساسهُ ارسال القوة لتحريك المحركات عن بعد . وقد بنت مؤخرًا الشركة الفرنسية اللاسلكية « راديو إلكتريك » قاربًا طوله تسعة امتار ونصف متر وعرضهُ ثلاثة ، يُديره محركان كاللذين يُستعملان للطيران ، قوّة كل واحد منهما مئتا حصان ، وسرعةُ القارب ٧٠ كيلومترًا في الساعة لمحمول ٧٠٠ كيلوغرام. وقد جهزته بالآلات اللاسلكية الكافية لتسييره دون رقيب . امّا حركاته فتُرسل اليه من طيّارة تحومُ فوقه راقبةً سيره . وفي الطيّارة لوحة ذات سبعة مفاتيح يستعملها الطيّار لتسيير القارب او ايقافه ، وزيادة سرعته او تخفيضها ، وادارته يمينًا او شمالًا الخ . . . كلُّ ذلك بواسطة تموّجات لاسلكية ترسل من الطيّارة فتسطو على المركز القابل الذي في القارب ، فتخضع له حركات المحركين بواسطة اوصال مغنطية كهربائية(relais électromagnétique)والتموجات هذه كافية لاتمام العمل المقصود ، حتى لو بعدت الطيّارة عشرة كيلومترات عن القارب

تلك تجارب سوف يُسمع صداها في الحربية ، حيثُ يُكلّف القارب ضربَ العدوّ بالمدافع او ضرب احدى بوارجه . وقد اختبرت النظرية ذاتها لارسال الطيّارات الحربية دون رقيب مُسيّرةً بمركز لاسلكي واحد

اللاسلكية تزيد في رفاهية الافراد

ما تقدّم فنُّ اللاسلكية حتى استخدمه الاهلون للزيادة في رفاهية الافراد وسعادة العائلة ، فبُنيت ، في المدن الكبيرة ، مراكز لنشر الاخبار والاغاني والالحان الموسيقية ، كل مساء ، (postes de radiodiffusion) يسمعها من اسعده الحظ بشراء مركز قابل صغير . ومن يزر باريس يدهش من ولع الاهلين بهذا اللهو . فلا يكاد يخلو بيتٌ من آلة قابلة ، تجعل في زاوية من البهو ، حتى اذا جاء الليل اجتمع الكلُّ حولها يسمعون . ومراكز النشر في باريس عديدة منها خاصة بالحكومة كمركز برج ايفل وقوته ثمانية احصنة ، ومركز مدرسة البرق والبريد العليا وقوته ثلاثة ارباع الحصان . ومنها ملك الشركات التجارية ، وفي عدد ذلك مركز راديو باريس وقوته اربعة احصنة ،

وجريدة البتي باريزيان ، وراديو ڤيتوس ، وراديو ل. ل. (لوسيان لمي) ، وقوة كل واحد منها ثلاثة ارباع الحصان . وراديو ڤيتوس وراديو ل. ل. شركتان لعمل الآلات اللاسلكية بنتا مركزيها برخصةٍ من الحكومة ، ونيَّتها الاعلان ونشر الدعوة لتصريف بضائعها. ولا تختلط نشرات تلك المراكز بعضها ببعض، اذ ان كل مركز يبعثُ بتموّجات تختلف عن غيرها في الطول كما بيَّناه في العدد السابق من هذه المجلة . فتموجات برج ايفل تبلغ طولاً ٢٦٥٠ متراً ، بينا يبلغ طول تموجات راديو باريس ١٧٥٠ متراً ، وطول تموجات مركز البرق والبريد ٤٥٨ متراً ، والبتي باريزيان ٣٤١ الخ . فاذا شئت سماع احد تلك المراكز عدَّلت آلتك بدرم زرٍ او ازرار كي تهتزّ لتموجات ذلك المركز فتسمعه دون غيره

امَّا مراكز النشر هذه فتعتمد في حياتها الاقتصادية على عضد الحكومة (كمركزي برج ايفل ومدرسة البرق والبريد) ومساعدة شركات التلفون اللاسلكي وجمعيَّاته . وفي مقدمة تلك الجمعيَّات جمعية احباء اللاسلكية ، وجمعية بنَّائي آلات النشر (Groupement des constructeurs de radiodiffusion) وهذه الجمعيــة تفرضُ على كلّ شركة تنضمّ اليها ، مبلغاً معلوماً لقاء بياعاتها الشهرية او السنوية . فــان شركة راديو - تكنيك لعمل قناديل التلفون اللاسلكي تدفع الى صندوق تلك الجمعية فرنكاً ونصف فرنك عن كل قنديل تبيعه ، مما يبلغ اربعين الف فرنك كل شهر ، اذا عدلنا بياعاتها بـ ٢٧ الف قنديل على الاقل . وهكذا في سائر الشركات . وكثير من الحفلات والليالي تُعطى بمساعدة المحلات التجارية كالپرنتان وغيره ، او الجرائد اليومية . فكم من مرةٍ تسمع في المضخّم مثل هذه العبارة : « ليلة موسيقيــة رُتبت بمساعدة جريدة الماتان ، او الشركة الفلانية الخ . . . » والمساعدة تقتصر غالباً على دفع اجرة الموسيقيين والملحنين . ولشركات النشر ايضــاً ايرادٌ عظيم من الاعلان ، وتأثيره غير تأثير الاعلان المخطوط . فبينا انت تنتظر تتمة قطعــة موسيقية ، او رواية تمثيلية اذا بصوتٍ يدعوك في المضخّم : « ان القطعة التي سمعتموها وشنَّفت آذانكم ضُربت على المعزف ماركة كــذا » . . . الى غير

ذلك من الاساليب اللطيفة الفعّالة التي اشتهر بها مبشّر مركز راديو باريس .
والمبشّر هو الذي يُعلن للسامعين برنامج الحفلة بنداً بعد بند فتسمعه يفوه بمثل تالك العبارة «لقد سمعتم محاضرة الدكتور... عن فوائد البطاطا ، فاسمعوا الآن قطعةً موسيقية لبتهوفن» ... اما البرنامج فمتنوّع واسع ، موافق لمختلف الاذواق، يبتدي ، غالباً ، عند الساعة الثامنة مساء ، باخبارٍ محلية ثم بمحاضرات مختصرة اجتماعية او علمية ، حتى اذا صارت الساعة التاسعة جاءت الاغاني والالحان الموسيقية موقّعة من اشهر مغنّي الاوبرا ... ومن الغريب ان بعض المراكز تنشر احياناً روايةً تمثيلية بكاملها ، ذات فصلٍ او فصلين ، يمثل ادوارها اثنان او ثلاثة

وقد شعر الكاثوليك بما في طريقة النشر باللاسلكية من التأثير في بثّ روح الايمان بين من ضلّلتهم اقوال الملحدين ، او اسكرتهم ملذات الحياة ، وبين الالوف من العَملة وقد دُسّت في عقولهم سموم البلشفية ، فطلب الكردينال ديبوا رئيس اساقفة باريس الى الاب لاند اليسوعي (R. P. Lhande) ان يُلقي سلسلة عظات مدة آحاد الصوم سنة ١٩٢٧ ، ينشرها مركز راديو باريس . فقام الاب لاند بتلك المهمة ، وما بدأت عظاته تُنشر على الالوف من السامعين حتى وردته رسائل التحبيذ والتهنئة . كيف لا والاب لاند كاتبٌ مجيد وقد اتّخذ ، في القاء تلك المواعظ ، اسلوباً سهلاً سلساً يَضربُ فيه على اوتار القلب . فكان يسحر السامعين بطلاقة لسانه ، ورشاقة تعبيره ، ونبرات صوته . ولكم وددت ، عند سماعه احياناً ، ان يطيل كلامه ساعات لما كنت اجد فيه من اللذة السحرية . وعظاته هذه كانت تنشر ، عند الظهر ، والناس في بيوتهم على المائدة ، فيسمعون خاشعين مفكّرين

وكانت تُنشر ايضاً مواعظ الصوم في كنيسة نوتردام (Notre-Dame) في باريس كي يتمكن من سماعها من تعذّر عليهم الحضور ، ومن لم تعد تسعهم ارجاء الكنيسة على رحبها

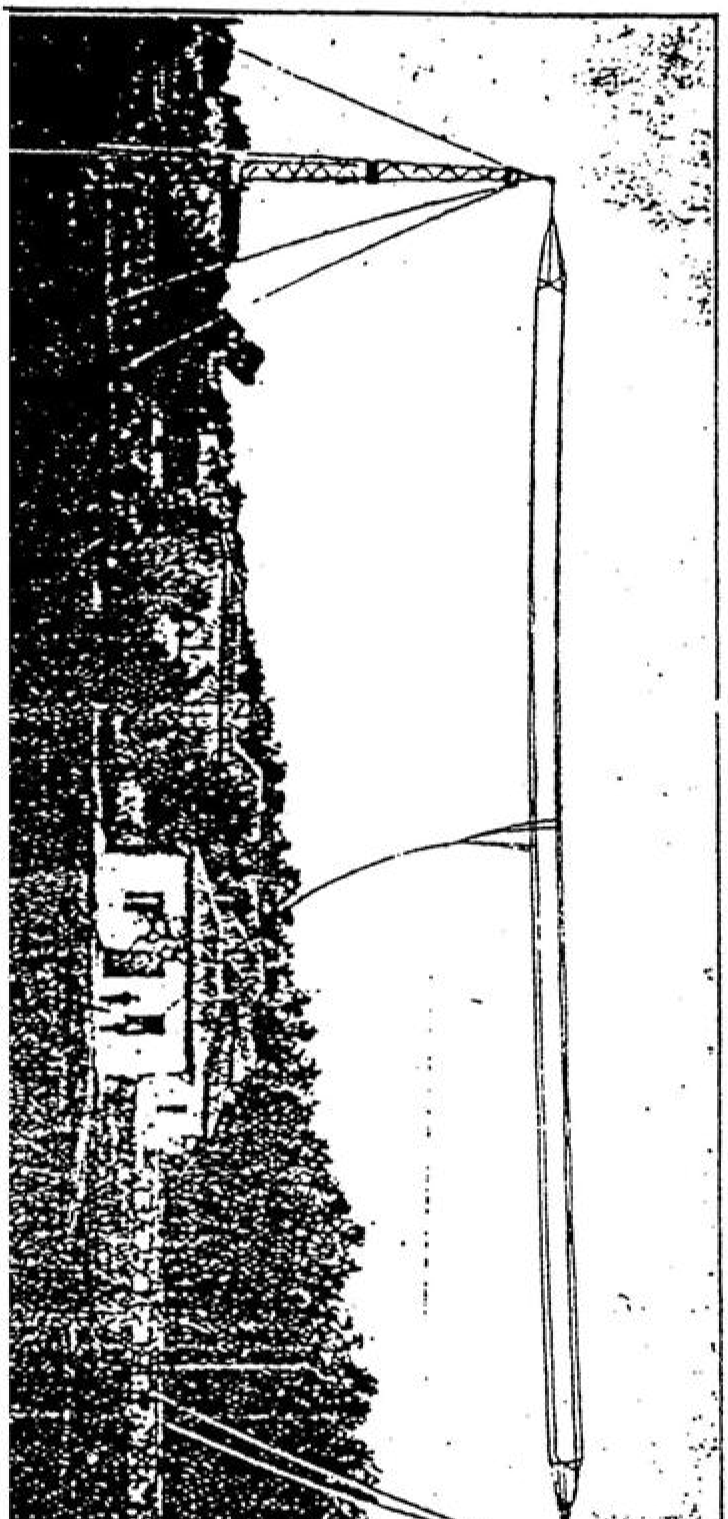
اللاسلكية في بلادنا

هذا ما توصلوا اليه في اوربة ، خلال سنوات قليلة ، من استخدام التلفون

اللاسلكي . ونحن في الشرق لا نزال محرومين من هذه المنافع ما لم يُخلق في وطننا مركز للنشر كما في القسطنطينية . فسماعُ باريس ولندرة ليسَ على الافراد باشي . السهل ، والمسافة بيننا وبين تلك المراكز تنيف على العشرة آلاف كيلومتر فلا تأتينا التموجات التلفونيــة الّا ضئيلةً ، مشحونةً بالتموجات الدخيلة . فاذا وسّعنا تلك لسماعها ، وسّعنا هذه ايضاً فجاء الكلام مشوّهاً ، والموسيقى صفيرًا . وهكذا فان مركز راديولا ذا السبعة القناديل لا يُسمع باريس ، رغم قوته واتقانه ، إلّا نادرًا . فيضطر المرء الى الاكتفاء بمراكز القسطنطينية وڤينة وموسكو . ومع ذلك فلا يحلو سماعُ تلك المراكز الّا أياماً قليلةً في الاسبوع او الشهر نظرًا لكثرة التموّجات الدخيلة . وقد افسح عن ذلك حضرة العالم الاب بلامپوا اليسوعي (R. P. Blampois) ، استاذ الكهربائية في مدرسة الهندسة الفرنسية ، بمحاضرة عن اللاسلكيــة في سورية ولبنان ، ألقيت ، الشتاء المنصرم ، في ردهة كلية القديس يوسف في بيروت . وهب انه توصل الى سماع تلك المراكز بقوةٍ وجلاء . فمن لا يضنُّ على نفسه بهذا اللهو ، وثمن المركز القابل يناهز الخمسة آلاف فرنك

فلا يعمّم اذًا هذا الفن عندنا مــا لم يُخلق في بيروت مركزٌ ناشر تلفوني (centre de radiodiffusion) ينشر كلَّ مساء الاحاديث والاخبار والمحاضرات والقطع الموسيقية ، فيسمعها من يشاء ، في سورية ولبنان ، بواسطة مركز صغير لا يبلغ ثمنه الالف فرنك . وهذا ما دفع الاستاذ كميل اده ، في العام الماضي ، الى انشاء جمعية ترمي الى تحقيق هذه الامنيّة . وستُتابع هذه الجمعية جهادها ، مدة الشتاء المقبل ، حتى تُتحف البلاد بما اصبح من ضروريات الحياة . ولا ريبَ اليوم في انّ التلفون اللاسلكي ، كما بينّاه ، هو وسيلة لترقيــة الشعب بالخطب والمحاضرات ، وزيادة رفاهيتهِ بالاحاديث والموسيقى ، وتحسين اشغالهِ التجارية بمــا تتحفه به كل يوم من اسعار الحاجيات ، وحالــة الصناعة والزراعة . وقــد يزيد ذلك في رفاهيــة الفنادق في لبنان فيكثر حركة الاصطياف

وما يمنعنا من نشر دروس ليليــة تُعطى من حين الى حين في اللغات



الاجنبية كالفرنسية والانكليزية ، او في العلوم التجارية او الرياضية ، يتبعها من يحب الاستفادة ولا تسمح له اوقاته واشغاله من دخول المدارس الخاصة بها . فمجال الانتفاع اذاً واسع . انما المهمّ التحقيق . ولا يتمّ ذلك الّا متى عضدت فكرتنا هذه الحكومات والجرائد والافراد ليس فقط معنوياً بل مادياً ... اما نفقات هذا المشروع فتبلغ السبعمائة الف فرنك تقريباً ما عدا ثمن الارض واجرة البناء . والمركز هذا يكون من النوع المعروف بالمقاطعي (type départemental) كما في الرسم ٤ ، وقوته تكفي لان يُسمع بواسطة قابل ذي اربعة قناديل ، لمسافة ٢٠٠ كيلومتر بالمضخم ، اي بصوت عالٍ ؛ و ٣٠٠ كيلومتر بالسماع البسيط يُجعل على الأذن (écouteur)

ويُقسم المركز الباعث الى قسمين : القسم الاول غرفة الغناء للمغنّين والموسيقيين والخطباء ينشدون فيها ما يريدون نشره وتدعى بالفرنسية « auditorium » . والقسم الثاني بناية تضمّ المحركات ، والمولّدات الكهربائية ، والمجموع الباعث ، والشريط الناشر ممدوداً في الجوّ كما في الرسم ٤ . ولا مانع من وجود غرفة الملحّنين بعيدة عن مركز النشر بثمانية او عشرة كيلومترات ، على ان يكون بينهما اتصالية تلفونية . وكثيرا ما يُعمد الى هذه الطريقة في المدن الكبرى ، حيث لا مجالٌ لبناء المركز الباعث ، فيبنى هذا على مقربةٍ من المدينة بآلاته واعمدته واسلاكه، وتبقى غرفة الالقاء في البلد

اما اذا قصد نشر خطبةٍ تلقى في حفلة او اجتماع ما ، فيُجعل على طاولةٍ امام الخطيب ، قابل تلفوني (microphone) يؤدي بالكلام الى المركز الباعث فينشره . ولا بدّ ، والحالة هذه ، من مدّ سالك تلفوني بين محل الاجتماع والمركز

تلك هي بعض اسرار اللاسلكية احببنا اطلاع قراء « المشرق » عليها ولا نكتمهم أنّ مجال هذا الفنّ فسيح ، وأنّنا لم نخض في الموضوع الّا غمرة ، منتظرين الرجوع اليه اذا سنحت الفرصة ...

نظرة في تاريخ يافا

بقلم حضرة الاب ا٠ س٠ مرمرجي الدومنيكي

استاذ المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

٢

٤ً العصر اليوناني اليهودي

في سنة ٣٣٢ ، احتلّ الاسكندر المكدوني فلسطين . فسقطت بذات العام صور ، وغزة ، ويافا . على ان الاسكندر لم يكن على شاكلة الفاتحين القدماء ، لكونه لم تكن مُنيته الفتح وحسب ، بل كان يسعى في الوقت عينه ، بنشر الروح الاغريقي ، والحضارة اليونانية . وكانت يافا معدة لهذه السياسة ، لما كان بينها وبين جزائر الجه ، واليونان ، من سابق الصلاة. فنزلها قوم الاسكندر ، وجعلوها يونانية ، حتى في اسمها ، فانهم ابدلوه باسم «جوپي: Joppé » ومما يجدر بالذكر ان اول مضرب اقامه الاسكندر لضرب النقود ، كان في يافا .

اما بعد موت الاسكندر ، وتخاصم قواده على السيادة ، واقتسامهم ملكه ، فقد وقعت يافا في حكم بطليموس الاول ملك مصر . واستمرت تتنقل من يد مالك ، الى يد مالك آخر ، من هؤلاء القواد وخلفائهم ، حسب احوال الحروب ، وتقلبات السياسة. فبعد البطالسة ، حكم على يافا السلوقيون ومنهم سلوقس الرابع ، وفيلوباتر ، وانطيوخس ابيفانيوس ، الذي كان قاسياً. ولبغضه لليهود ، واضطهاده لهم ، اثار ثائر المقابيين ، فنجم عنه استقلال الاسرائيليين حقبة من الزمن لم تدم طويلا ، وهذه هي المرة الاولى التي طال بها ملك اليهود ليافا ، فأضحت مرفأ لهم . ويخبرنا الكتاب انه في ذلك الزمان ، كانت طائفة من اليهود ساكنين في يافا . ففي بداية الحروب المقابية ، خانهم الوثنيون ، اذ تظاهروا لهم بالصداقة ، ودعوهم يوما الى التنزهة في البحر .

ومن غريب الامور ، ان اليهود لم يشكوا في ما اضمره لهم اعداؤهم . فصعدوا السفن ، وبصحبتهم نساؤهم ، واولادهم . غير انهم ما بلغوا عرض البحر ، حتى قام عليهم الوثنيون ، فاغرقوهم . وكان عدد الغرقى نحو المئتين . فلمَّا بلغ الامر يهوذا المقابي ، جمع جنده ، وزحف الى المدينة ، ودخل الميناء ليلاً ، فاضرم النار في السفن الراسية هناك ، وامر بقتل كل من حاول الفرار الى البرّ . ثم بعد ان نال المقابيون الاستقلال بانتصاراتهم المتواصلة ، احتلّ سمعان اخو يهوذا المقابي يافا ، واقامها مرفأ لحكومته .

٥ً العصر الروماني البوزنطي

اول ما احتلّ الجنود الرومانيون من البلاد الشرقية ، كانت مصر وآسية الصغرى . ثم عقبتها بلاد البنطس وارمينية . فان بمپيس القائد الشهير ، بعد ان استولى على تلك البلاد ، وكرّ راجعاً ، فتح في عودته سورية ، ودخل دمشق منصوراً . وتبعت فلسطين سورية في امر الخضوع والتسليم لحكم الرومانيين . امَّا المدن الساحلية ، فانها كانت منفصلة عن بقية البلاد ، أعلنت مدناً حرّة ، وفي جملتها يافا . واضطرت الاحوال يوليس قيصر الى محاربة بمپيس فكسره . وقد ساعده في ذلك انتپاتر . فكافأهُ لهُ على هذه الخدمة ، ملّكه على اليهودية . وبما ان سكَّان يافا كانوا من انصار قيصر ، منح مدينتهم امتيازات شتى ، واعفاهم من تأدية الجزية سواء لرومة او القدس .

وفي زمن السيد المسيح ، كانت يافا في عداد المدن العشر الممتازة ، في حكم الرومانيين . ولمَّا اخذ الدين المسيحي بالانتشار ، كان سكان يافا من اول الذين دانوا بهِ . والظاهر ان جماعتهم كانت وافرة من باديء الأمر ، وقد زادهم عدداً ورسوخاً في الايمان ، بَعْث الرسول بطرس لطبيثه من الموت . وقد استمرّ بطرس زمناً طويلاً فيها ، ساكناً عند سمعان الدباغ ، الذي كان بيته قرب البحر . وفي هذا البيت عينه ، اذ كان بطرس يوماً على السطح يصلي ، رأى في الرؤيا وعاء نازلاً من السماء ، مملوءاً حيوانات مختلفة الاجناس ، منها طاهرة ومنها نجسة . وعند ذلك سمع صوتاً يحمله على قبول الامم في الكنيسة . وبينما هو مفكر في امر الرؤيا ، اذا برسل كرنيليس قائد المائة

قد اتوا اليه ، فطلبوا منهُ ان يذهب معهم الى قيصرية . وهناك قبل تنصر كرنيليس ، فكان اول متنصر من الامم.

وبعد ذلك الزمان ، نجد يافا عامرة ، والدين المسيحي زاهراً فيها ، ازدهاراً جعلها ان يُقام فيها كرسي اسقفية . وقد زارها القديس هيرونموس ، في القرن الرابع ، تصحبه القديسة باولا النبيلة الرومانية وابنتها استوركيُم . وقد عجبوا من مرفئها الذي انهزم منهُ يونان النبي ؛ ورأوا الصخرة التي يذكر في مخيلات اليونان ان « ادروميدا » كانت موثوقة فيها بسلاسل . وفي اعمال المجامع التي عقدت في القرنين السادس والسابع تقرأ اسماء كثيرين من اساقفتها

٦ً العصر العربي

كان دخول الجيوش العربية سورية وفلسطين ، ومن ثمَّ بيت المقدس ، سنة ٦٣٦ . وقد كان احتلالهم المدينة المقدسة بقيادة الخليفة عمر الفاروق ابن الخطّاب . وفي ذاك العام نفسه دخل يافا عمرو بن العاص فاتح مصر الشهير ، فبدل اسمها اليوناني ، باسم يافا . وبقيت المدينة في مقام المدن المهمّة في فلسطين واستمرت المرفأ الذي ينزل اليه الزوار القاصدون القدس. وهناك كانوا يتبركون بزيارة بيت سمعان الدباغ ، وقبر طبيته ، وكنيسة القديس بطرس الرسول . وحسب رواية اليعقوبي المؤرخ العربي ، الذي عاش في القرن التاسع للميلاد ، عادت يافا فاضحت مركز التجارة في فلسطين ، ودامت على هذه الحال الى زمن الصليبيين.

٧ً عصر الصليبيين

في سنة ١٠٩٩ ، لمّا اقبل الصليبيون الى هذه الديار ، كانت يافا في مقدمة المدن التي استولى عليها غودفروا دي بويون ، وهو زاحف الى القدس. وكان سير الصليبيين في الطريق عينها التي طرقها الفلسطينيون ، قبل ذلك الزمان بزهاء ٢٣ قرناً . اي انهم توجهوا من انطاكية نحو الغرب على طريق الساحل ليتصلوا بمراكب الجنويين عند يافا . وبعد ان فتح غودفروا القدس ، عاد فشرع ببناء ما هدم في يافا عند محاصرتها.

وفي عيد الميلاد من تلك السنة ، تأسست المملكة اللاتينية في اورشليم

على الطريقة الاقطاعية . فاقيمت يافا ونواحيها كونتية. وبعد ان أخذت عسقلان أُلحقت بها ، فدُعيت كونتية يافا وعسقلان ، واعيد اليها كرسيها الاسقفي . وقد كان عصر المملكة اللاتينية ، كالعصر العربي ، عصر تجارة عظيمة ، وتقدم زراعي ، للمدن الساحلية ، ولاسيما ليافا ، اذ انها كانت اهم مرفأ تجاري ، واقوى معقل حربي في هذه الربوع ، ما بقيت القدس بيد الصليبيين . امّا بعد سقوطها ، فاضحت عكا المرفأ العسكري ، وبقيت يافا في المقام الاول ، سواء من جهة التجارة ، او من جهة الزيارة للاراضي المقدسة . وكانت الميناء الاخير الذي ترسو فيه سفن الغرب الجائلة في سواحل البحر المتوسط . وكانت هذه السفن تأتيها فرادى او بعدد محصور ، وفي اي فصل من فصول السنة . الّا ان العمارة التجارية كانت تقدم اليها مرات معينة كل عام ، من السواحل الايطالية وكان يرفق العمارة اسطول مسلّح ، يقوده امير موفد من قبل حكومات تلك الديار .

ولم تزل يافا منذ ذاك الحين عرضة لتقلبات الاحوال . فكانت تارةً بيد الفرنجة ، وتارةً بيد المصريين . ومن المواقع الشهيرة التي جرت فيها بين الصليبيين والمصريين ، المعارك التي اشتبكت فيها جيوش صلاح الدين وملك الانكليز ريكاردس قلب الاسد ، وما اظهره هذان الملكان الكريمان ، والفارسان الصنديدان ، من الشهامة ، والبسالة ، والبطولة ، قد خلّد لهما الذكر الطيّب في التاريخ . فان صلاح الدين ، عند محاصرته هذه المدينة ، لم يجتزئ بالقاء الاوامر على قواده وجنوده ، بل كان يرتمي هو ذاته الى الامام ، ويساعد عسكره على حفر الالغام ، ونبال المحاصرين تنزل عليه كالمطر الوابل ، وهو في وسط الدخان ، وامام النيران المتأججة . وكذلك الملك ريكاردس ، فانهُ لمّا اقبل من عكّا باسطوله الى مرفأ يافا ، وقد احتلّها المصريون ، الّا القلعة التي التجأ اليها الصليبيون ، ولمّا علم ان هذه القلعة لم تزل في حوزة عسكره ، لم تكن الّا لحظة ، وقد القى بذاته الى البحر ، قبل الجميع فتبعه قواده . وصعد الى الساحل حيث كان قد احتشدت جنود المصريين ، جماهير مجمهرة . فما كان منهُ الّا ان امتشق حسامه ، واقبل اليهم بقلب دونه قلب الاسد جرأة

وبسالة ؛ فشقَّ صفوفهم ، وشتَّت شملهم ، واسرع متقدما عسكره الى المدينة فرفع فيها رايته . فلمَّا رآها المحاصرون في القلعة ، عادت اليهم شجاعتهم ، فنزلوا اليه ، ودفعوا الاعداء الى الخارج ؛ ممَّا مكَّنه ان يفاوض صلاح الدين ، في شأن الصلح ، على شروط شريفة.

ومما يجمل بالذكر في هذا الصدد ، ان القديس لويس ملك فرنسة ، احتلَّ هذه المدينة وعسكرَ جنده في ما حولها من البساتين . وقد سعى في بناء سورها وابراجه ، وكان هو عينه يشتغل مع العملة . وهو الذي أسس ديرًا للفرنسيسيين وعمَّر لهم كنيسة.

٨ً العصر المماليكي

في ايام بيبرس عادت يافا فخربت ، الَّا ان اهاليها ، اصحاب الهمة ، لم يعثروا ان عادوا اليها ، فاخذوا بتعمير اسوارها وابراجها وقلعتها . كما ان سفن التجارة استأنفت المجيء اليها ، ولاسيما الايطالية منها . وقد زارها ابو الفداء فقال : انها مدينة صغيرة جميلة ، اراضيها مخصبة ، ويتردد الى اسواقها كثير من التجار ، ويرسو في مرفأها كل السفن القادمة الى فلسطين ، ومنها تقلع الى غير بلاد . وقال عنها السائح اليهودي رابي اسحق شيلو: انها مجال البحار ، ومحل تجارة مهمة ، وان اهاليها في غنى ورفاه . واهم ما يتجر به فيها الزيت ، والقطن ، والصابون ، والآنية الخزفية ، وغير ذلك. وفي القرن الرابع عشر ، شيَّد الامير جمال الدين بن اسحق مقام الولي المدعو « قبة الشيخ مراد » ، الموجود اليوم شرقي ضواحيها ، المدعوة « بسكنة ابي كبير »

٩ً العصر التركي

الَّا ان الدهر الخؤون عاد فقلب لها ظهر المجن ، فحالت الى الدمار . لكنها لم تزل مع ذلك محط رحال الزوار ، المقبلين لزيارة القدس ، ولم يكونوا يجدون فيها محلًّا يستظلون به من الشمس والمطر ، الَّا معبدًا صغيرًا كان من بقايا كنيسة القديس بطرس . واستمرت على هذه الحال ، حتى بعد ان كسر الترك المماليك ، واحتلوا مصر ، وفلسطين على عهد سلطانهم سليم الاول ، في القرن السادس عشر.

نحو منتصف القرن السابع عشر ، نزل بعض الرهبان الفرنسيين، فسكنوا يافا ، بين تلك الخرائب ، ثم ابتنوا بعض الغرف ، لايواء الزوّار ، فاتهمهم الترك ببناء معاقل ، فاخربوا ما عمروه . الّا ان هؤلاء الرهبان ، بعد سنين قلائل ، نالوا الاجازة بتعمير ما خرب . وعلى مثال الفرنسيين سار غيرهم من الطوائف المسيحية ، وكثير من الاهالي الساكنين الرملة ، وغيرها ، ممن مهنتهم مزاولة التجارة . فاخذوا يأتون رويداً رويداً فيسكنون يافا . عندئذٍ تحسّنت احوالها ، وراجت اسواق تجارتها ، من منتصف القرن الثامن عشر الى ما بعده.

ومما يجدر بالذكر في تاريخ هذا العصر ، الحوادث التي جرت على يد الرجال الذين حكموها ، من مثل علي بك صاحب مصر ، وظاهر بن عمر ، حاكم عكا ، ومحمد ابي الذهب ، واحمد الجزار ، وحملة نابوليون عليه ، وابي نبوت ، ومحمد علي ، وابنه ابراهيم باشا.

فعلي بك الذي توصل فامتلك مصر ، في منتصف القرن الثامن عشر ، انتهز فرصة ارتباك الترك بمحاربة الروس ، فزحف الى غزة ، والرملة ، واللد . واتفق مع ظاهر بن عمر الذي كان يقاتل عثمان باشا والي سورية.

واما يافا ، فلاجل الانقسام الذي حصل بين اهلها ، تمكن ظاهر بن عمر من دخولها واقامة الحامية فيها . امّا علي بك فارسل ابنه محمد الملقب بابي الذهب — لما كان في خيمته من الرياش الثمينة — على رأس ٤٠ الف مقاتل لمساعدة ظاهر . فتوجه كلاهما الى الشام ، وبعد ان استوليا على القلعة ، اذا بمحمد قد غادر المدينة فجأة ، نماد الى مصر حيث اعلن الحرب على علي بك. وبعد ان كسر جيشه ، قبض على زمام الحكم في القاهرة. وفر علي بك الى غزة ، ومنها الى عكا ، حيث التجأ الى حليفه ظاهر العمر ، ثم تمكن بعد ذلك من العودة الى يافا ، للاقتصاص من اهلها . فحاصرها ثمانية اشهر ، وفي آخرها سلّمت . الّا ان علي بك جرح وأسر في معركة بينه وبين ابي الذهب.

ثم عاد ابو الذهب بامر من الباب العالي ، فزحف الى فلسطين ، وجاء فحاصر يافا . واشتدّ الامر عليه ، لان السكان قاوموه من داخل . وفي اثناء المفاوضة في شأن الصلح ، دخل بعض المماليك المدينة ، وحاولوا السلب ،

فانهم الاهلون . حينئذٍ انفغت العساكر كلها عليهم ، واعملوا فيهم السيف بطريقة تقشعر لها الابدان. واما ابو الذهب ، فهو عينه أمر بان تجمع رؤوس القتلى ، فصار منها هرَم ، اقامهُ على التل الذي عليهِ نصب مدافع المصريين . فدعي منذ ذاك اليوم « تل الرؤوس » وبعد اخذ عكّا بايامٍ ، مات فجأةً . فاسرع جيشه بالعودة الى مصر .

وقام بعد ذلك على عكّا خلفاً لظاهر العمر ، احمد الجزار المشهور . وهو الذي طرد منها الفرنج الذين كانوا ساكنين فيها منذ قرون للاتجار ، فاغتصب املاكهم واموالهم . وعليه ، فلمّا حمل بونابرت حملته من مصر الى فلسطين ، لكسر شوكة الجيش التركي ، كان من مقاصده اخذ عكّا ، وانزال القصاص بالجزار ، فبعد ان استولى نابوليون على غزة والرملة ، انسحب العسكر التركي الى يافا ، وهناك في داخل المدينة ، جرت معركة اسفرت عن اشدّ اهوال الحرب . وفي يافا ايضاً فشا الطاعون بين عسكر الامبراطور ، فاضطر هو عينه الى الذهاب لافتقاد المضروبين . وكان يجسّ قروحهم بيده ، تشجيعاً لهم ، ولغير المصابين.

امّا السنون التي عقبت ذلك فقد كانت حقبة تقدم وفلاح للمدينة . اذ تولّاها رجل يلقب « بابي نبوت » وهو الذي شيَّد الجامع الكبير ، والسوق ، والمعين ، وكل هذا من ابدع ما يكون من البناء ، والاتقان ، والزخرف . واقام سبيلاً يُدعى سبيل « ابي نبوت » وهو واقع على طريق القدس.

وفي اواسط القرن التاسع عشر استقلّ محمد علي حاكم مصر ، وارسل الجيوش لفتح فلسطين بامرة ابنه ابراهيم باشا . فجاء الجيش وعسكر بين يافا والولي ابراهيم العجمي . اما السكان ، فبعد المفاوضة والتدبّر ، اجمع رأيهم على التسليم ، دون مقاومة ، حقناً للدماء . فاحتلّ ابراهيم المدينة . وفي اثناء هذا الحكم ، لم ينل يافا ادنى ضرر ، بل انها سارت متقدمة ، وزهت . وقد كان من نيّة ابراهيم باشا ان يحيل « بصّة يافا » الى مرفأ داخلي ، تصله ترعة بالبحر . الّا ان هذا الفكر لم يجرَ بالعمل ، اذ توصلت تركية ، بمعاونة

بعض كبار الدول الاوربية ، الى ان تستعيد فلسطين . فكان ذلك آخر العهد بحكم المصريين.

على ان بعض مئات من العائلات المصرية ، من الذين هاجروا من مصر الى فلسطين ، في غضون احتلال ابراهيم باشا ، استقرت في ضواحي المدينة ، فانشأت قرى صغيرة ، احتاطت بها البساتين . ومن هذه القرى ، سكنة ابي كبير ، وسكنة حماد ، وسكنة الدرويش.

واماً الحالة من ذاك الحين الى هذه الايام فهي معروفة من الجميع ، فلا حاجة الى الاستفاضة بها.

بعد هذا الطيران ، بطيارة الفكر ، على تاريخ يافا وحياتها الطويلة ، طولاً يربو على الخمسين قرناً ، الا يجدر بنا ان نستنتج ان ليافا الحق بان تفتخر وتفاخر غيرها من المدن . اجل لها الحق ان تفتخر ، لان اسمها الجميلة، وهو اسم وافق المسمّى ؛ لانها جميلة بموقعها ، جميلة بهوائها ، جميلة بجنّاتها ، جميلة ببحرها. وهي بنت البحار ، ومقصد التجار . يحق لها ان تفتخر بقدمها ، لان مدناً قليلة قد وُجدت منذ وجودها . يحق لها ان تفتخر لما لموقعها من المناعة والخطورة ، ولاراضيها من الخصب ، ولتجارتها من الاهمية . فانها في كل زمان قد كانت سوقاً رائجة ، يقصدها المتاجرون براً وبحراً . يحق لها ان تفتخر لكثرة الدول التي طمحت اليها بابصارها ، ولحلول اعاظم الرجال ، والملوك والقواد فيها . يحق لها ان تفتخر لما فيها من الذكريات الدينية ولكونها مدخل اشهر مدينة في العالم ، وهي المدينة المقدسة . يحق لها ان تفتخر حتى بمصائبها ونكباتها ؛ لانها لم تكن تدمّر فتخرب ، الّا وبعد قليل تنبعث من رمسها . فهي حرية بان تلقب بالمدينة « الميتة الحيّة » . يحق لها ان تفتخر بثبات وصلابة اهاليها وتعلقهم بها ، ان كانوا من القدماء او من الحاليين . لان يافا قد زادت ، وتقدمت في هذه الآونة ، اكثر من كل زمان ، وحال من الاحوال . فهي راقية من الوجهة التجارية ، والاقتصادية ، والزراعية ، والادبية ، والعلمية ، والدينية ، والاعمال الخيرية ، زادها الله تقدماً ونجاحاً ، وصانها من آفات العصر الوخيمة.

اركان النهضة الحديثة

الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ــ١٨٧١)

الرجل ــ « العالم » ــ الشاعر

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

١

هو من اشهر اعلام اللغة العربية في القرن الماضي ، ومن اثبت اركان النهضة الحديثة في المحافظة على القديم ، وتحدّي القدماء . تحدّى امتن منشئي العرب في انشائهم ، وعارض افخم شعرائهم في شعرهم ، واقتفى انبغ « علمائهم » في « علومهم » المختلفة من صرف ، ونحو ، وبيان ، وبديع ، وفقه ، وطبّ . وكأنّ الطبيعة شاءت مناصرته في هــذا الاقتفاء ، فارادت ان يقتفي مشاهير الادباء في موتهم ايضاً ؛ فرمته ، كما رمت قبله الجاحظ ، وابن دريد ، وابن عبد ربه ، بفالج عطّل نصف جسمه على مدة سنتين . فعاش ومات إمـام المحافظين المقتفين من ارباب النهضة ، سواء في شخصيّته ، او في «علومه» ، او في شعره :

الرجل

اصل أسرته

« يازجي » كلمة تركية معناها « كاتب » دُعي بها احد جـدود الشيخ ناصيف اذ كان يكتب لبعض عمال الاتراك ، في اواسط القرن الثامن عشر . والاسرة اصلها من روم حمص ، كثرت فروعهـا في تلك المدينة حتى اواخر القرن السابع عشر ، فهاجر منهـا سعد — وهو جدّ جدّ الشيخ ناصيف — مع جماعة من اهله ، الى لبنان ؛ فسكن بعضهم في ناحية الغرب الاقصى من

ساحل لبنان ، وسار الآخرون الى وادي التيم . وكان كاتب العامل التركي من الفرع المهاجر فلصق لقب « اليازجي » بذرّيته التي تركت المذهب الارثذكسي وجاهرت بالكاثوليكي ، في اواخر القرن الثامن عشر

شبابه (١٨٠٠—١٨٢٨)

نشأته

ناصيف بن عبدالله ، بن ناصيف ، بن جنبلاط ، بن سعد اليازجي ، وُلد في كفرشيما من قُرى الساحل اللبناني ، على مقربة من بيروت جنوباً ، في ٢٥ اذار سنة ١٨٠٠ . وكان ابوه عبدالله من اطباء عصره المعروفين على مذهب ابن سيناء ، درس اصول الطب القديم على بعض رهبان الشوير واخذ بالاختبار حتى برع فيه . وكان يميل ، مع ذلك ، الى الادب ، وقد يتعاطى النظم اذا ما سنحت الفرصة

فنشأ الولد في محيط مشبع بروح العلم والدرس . ولم يلبث ان تلقى مبادئ القراءة والكتابة من راهب لبناني اسمه القس متى الشبابي ، فوجد من نفسه ميلاً الى المطالعة والتحصيل ، فشرع يقرأ كل ما وقع تحت يده من الكتب ، وهي نادرة في تلك الايام . حتى انتهى الميسور منها ، فأقبل على أديار الرهبان يستعير منها ما امكنه . وكان في خلال ذلك يدرس الطبَّ على والده ، ويجتهد في تحصيل ما يقف عليه من فنّ الموسيقى وتوقيع الالحان . وقد ساعدته ذاكرته في كل ذلك مساعدة فعّالة ، فقلّما كان يحتاج الى قراءة الكتاب غير مرّة واحدة . وكان ، اذا صادف مؤلَّفاً نفيساً وخاف ضياعه او خروجه من يده ، ينقله بخط جميل واضح على القاعدة الفارسية

في دير الترقفة (١٨١٦—١٨١٨)

ولم يبلغ السادسة عشرة من عمره ، حتى اشتهر ذكره في قريته كفرشيما وما جاورها من قرى الساحل . وكان قد بدأ ينظم بعض « المطالع » من المعنّى ، او الشعر العامي ، وبعض المقطعات الشعرية ، فاخذ اهل وطنه يشيرون اليه بالبنان ، وعُرف « بالعلم » والدرس ، وحسن الخطّ ايضاً . فدعاه البطريرك

اغناطيوس الخامس الملكي الكاثوليكي ليكون كاتباً عنده. وكان مقامه اذ ذاك في دير القرقفة في اعالي كفرشيما. فسار ناصيف اليه ولبث عنده مدة سنتين. ثمّ انتقـل البطريرك الى الزوق ، فترك كاتبنا وظيفته ورجع الى قريته، يتابع الدرس والمطالعة وقرض الشعر

عند الامير بشير (١٨٢٨ — ١٨٤٠)

وحدث بعد مدّة ان الامير بشير الكبير عاد الى مقرّه منتصراً على اعدائه ومناوئيه ، في الحروب والمناوشات التي تعدّدت قُبيل سنة ١٨٢٤ ، فـاغتنم الشيخ هذه الفرصة وامتدح الامير المذكور بقصيدة طويلة ابدع فيها ما شاء له خياله الذي كان لا يزال فتياً غير مضبوط ، وثقافته المشبعة بروح المتنبي، فقال في مطلعها :

بجنيك ! بجنيك ! هذا النصرُ والظفرُ ! فـانعمْ اذن انت ! بل فلتنعم البشرُ !

فوقعت القصيدة من الامير موقعاً حسناً ، ولفتت نظره هذا الشاب المتعلّم ، فمال الى استخدامه. ولكنه لم يستدعه قبل السنة ١٨٢٨ ، على قول المؤرخين . فاقام الشيخ ناصيف في ديوان الامير ، في بيت الدين ، اثنتي عشرة سنة ، الى ان كانت سنة ١٨٤٠ المشؤومة على امير لبنان ، وكان القرار بنفيه الى مالطة ، فدكّ عرش مجده ، وتفرّق اعوانه ومن جملتهم الشيخ ناصيف

ولكن على الرغم من ملازمة شاعرنا للامير طول هذه المدة ، لا نجد لهُ في اميره الّا المدائح القليلة . ممّا يستغربه الدارس باديء بدء ، ولكنـه لا يلبث ان يفهم السبب ، اذ يعلم ان شاعر الامير الخاص كان المعلم بطرس كرامه ، فلم يرغب الشيخ ناصيف في منافسته اتقاء لاحفـاظ المولى . على انه كان لا يتراجع امام رغبة الامير في اقامة تلك الحفلات الادبية ، والمناظرات الشعرية التي اشار اليها لامرتين اثنـاء وصفه لقصر بيت الـدين . وللشاعر الافرنـي الكبير كلام عن احد شعراء الامير لا ينطبق الّا على الشيخ ناصيف ، فيـدلّ على ما كان له من المنزلة في ذاك الوقت . قال لامرتين ما تعريبه :

« كان بين كتاب الامير آنذاك شاعر من اشهر شعراء البلاد العربية ولكني لم اعرف ذلك الّا بعد حين . ولمّا عرف هذا الشاعر ، بواسطة بعض ابناء العرب من السوريين ، انني انا ايضاً من شعراء اوربة ، بعث اليَّ بابيات تشوبها الزخرفة والتكلّف ، ويشينها التلاعب اللفظي ؛ وتلك صفات اللغات والمدنيّات الشائخة . ولكنَّ فيها ، على الرغم من ذلك ، مقدرة في الفن ، وتناسقاً في الافكار ، ارفع بكثير ممّا نتصوّره عنها في اوربة » (١

في بيروت (١٨٤٠–١٨٧١)

حياة الدرس والتأليف — في الجمعية السورية

وبعد ارتحال الامير بشير من لبنان ، انتقل الشيخ ناصيف بعائلته الى بيروت ، وهي عاصمة العلم ، ومدينة النهضة ، فاتصل بمشاهيرها من الكتّاب والشعراء ، واقبل يباحثهم ويجالسهم ، صارفاً وقته بالدرس والتأليف في جميع « العلوم » التي ألّف فيها العرب . وكان اكثر اجتماعاته بالمرسلين الاميركيين ومن اليهم من علماء اللبنانيين . فكان من مؤيدي الدكتور عالي سميث في انشاء الجمعية السورية سنة ١٨٤٧ ، فدخل فيها وانتخب عضواً في عمدتها الخصوصية (٢

حياة التعليم -- المراسلات الأدبية

ولمّا انشأ المعلم بطرس البستاني مدرسته الشهيرة المعروفة بالوطنية سنة ١٨٦٣ ، انتدب صاحب الترجمة لتدريس الصف الاول العربي فيها ، فكان يدرّس ارجوزته المعروفة في النحو . وقد تخرج عليه اذ ذاك عدد عديد من نوابغ الكتاب والشعراء .

وفي السنة التالية ، اذ انشأ البطريرك غريغوريوس يوسف المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك ، دعا اليها الشيخ ناصيف فكان يدرّس في المدرستين معاً . وبعد ذلك دخل في الكلية الاميركية فدرّس فيها مدة ايضاً . وكان يقف على

1) Lamartine : Voyage en Orient, Paris, 1841. p. 230–231

٢) راجع المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٤٠).

منشورات المطبعة الاميركية ولاسيا الكتاب المقدس الذي كان باشر ترجمته الدكتور سميث والمعلم بطرس البستاني سنة ١٨٤٧ . وفي تلك الاثناء ألّف اكثر كتبه فاشتهر بها وبالتدريس ، حتى سار ذكره من قطر الى قُطر ، وراسله كبار الادباء والشعراء في الشرق والغرب ، فكانت تأتيه قصائد المدح والتقريظ من بغداد ، والموصل ، ومصر ، والمغرب ، وانحاء لبنان وسورية . واشهر مراسليه: عبد الباقي العمري ، وعبد الحميد الموصلي ، وحبيب البغدادي ، وشهاب الدين العلوي ، من بغداد ؛ عبد الهادي نجا الابياري ، وعبد الرحمن الصوفي ، ومحمد عاقل كاشف زاده ، من القطر المصري ؛ احمد فارس الشدياق ، ومارون النقاش ، واسعد طراد ، وخليل الخوري من اللبنانيين النازحين ؛ ابراهيم الاحدب ، ومحمد الموقّت من طرابلس ، وكثير غيرهم . وقد راسل بعض المستشرقين ايضاً ذُكر منهم البارون سلفستر دي ساسي المستشرق الافرنسي الكبير

وكان منزله ، الكائن في زقاق البلاط جنب مدرسة المعلم بطرس البستاني ، محطاً لرحال طلّاب المعارف يتوافد عليه العلماء من انحاء مختلفة من لبنان ، ويزوره كبار الرجال اثناء مرورهم في بيروت ، فيحيّون شيخه العالم الجليل

مرضه الاخير (١٨٦٩—١٨٧١)

ولم يزل الشيخ ناصيف محور تلك الحركة الفكرية حتى ليلة الثلاثاء في ١٦ آذار سنة ١٨٦٩ ، فشعر بدوار وثقل شديد في الراس مع ضعف في البصر والذاكرة ، وتنبّه مؤلم في الحواس ، عقبته سكتة نزيفية انتهت بعد ٣٦ ساعة بفالج نصفي عطّل الشطر الايسر من الجسم . فجزع طلّابه ومريدوه ، وخافوا على تلك الجذوة ان تخمد . على ان الامل لم يلبث ان عاد قليلاً اذ افاق الشيخ بعد ايام ، وفي عينيه امائر سلامة العقل ، ولكنه لم يكن قادراً على الكلام . وكان ممّن حضره في تلك الحالة الاديب سليم دياب ، فاراد اختبار حالته العقلية فسأله عن اعراب « يَذهَبْنَ » من القول : «النساء يَذهَبْنَ» ، فاشار الشيخ بالدواة والقرطاس وكتب :

« يذهب مبني على السكون ، وهو في موضع الرفع بالتجرد . والنون في موضع الرفع بالفاعلية . وهما في موضع الرفع بالخبرية عن النساء . ففيها بناء من ثلثة اماكن ، واعراب من ثلثة اماكن . »

فتحقق صحة عقله ، وعجب من ثبات جنانه وذاكرته (١

ولم يمضِ القليل على ذلك حتى انحلّت عقدة لسانه وامكنه الافصاح عن مراده ، فاقبل يملي بعض الابيات التي كان ينظمها وهو في تلك الحالة . وظلّ على ذلك نحو الستتين ، حتى فاجأهُ المصابُ الأليم بوفاة ولده الشيخ حبيب في ٣١ كانون الاول ١٨٧٠ ، وهو في ريعان الشباب . وكان ابوه يعلّق عليه الآمال الكبيرة لطيب اخلاقه ، وسرعة فهمه ، وما حوى في صدره من المعارف الكثيرة . فضاع ذاك الامل . فحزن الشيخ حتى لم يمكنه الصبر بعد ، بل كان دائم الحزن ، دائم البكاء ، شهرًا كاملًا ، الى ان وافى شباط ١٨٧١ فحدث له سكتة دماغية قوي على احتمال تأثيرها مدة اربعة ايام ، افاق بعدها منتعشًا قليلًا . ولكنها راجعته مساء الثامن من شباط المذكور ، فأطفأت ذاك المصباح المنير

دفنه — قبره

كان وقع المصاب شديدًا في بيروت ولبنان ، فهرع القوم على اختلاف الطبقات والطوائف ، لوداعه . وساروا في جنازته بمشهد حافل تتقدمه تلامذة المدارس بانشاد مناحة شجيّة ، من الكنيسة الى مقبرة الروم الكاثوليك في الزيتونة ، حيث دُفن في ضريح خاصّ معروف الى اليوم ، وعليه هذه الابيات :

هذا مقامُ اليازجيّ ! فقف به . وقل : السلام عليك ، يا علمَ الهُدى
حرمٌ تحجّ اليه ارباب الحجى ابدًا ، وتدعو بالمراحم سرمدًا
هو مغربُ الشمس التي كم اطلعت في شرق آفاق البلاغة ، فرقدا
فخرُ النصارى ، صاحبُ الغرر التي ضرُبت على ذكر البديع واحدا .
هذا عماد العلم مال به القضا فأمال ركنًا للعلوم مشيّدا
امسى تجاهَ البحر ، جانبَ تربهِ ، هي مجمع البحرين أشرف مجتدى .

١) راجع الجنان (٢ [١٨٧١] : ١٩١)

فعليك ، يا ناصيف ، خيرُ تحيّةٍ طابت بذكرك ، حيثُ فاح مردّدا :
لو انصفتك النائباتُ ، لغيّرت عادا تُها ، وَوَقَتْكَ حادثةَ الردى .
تتنزّل الاملاكُ حولك بالرضى ويجود فوقك ، باكرًا ، قطرُ الندى
وجميل حظّك في الاعالي رحمةٌ أرّخ ، وذكرٌ في الصحائف خُلّدا !

١٨٧١

صفاته واخلاقه

كان الشيخ ناصيف معتدل القامة فوق الربعة قليلًا ، اسمر اللون ، اسود الشعر ، مهيب المنظر . وكان محافظًا اشدّ المحافظة على لهجة قومه ، مقلّدًا لاجداده في جميع عاداتهم من الأكل ، والشرب ، واللبس ، وسائر المظاهر الخارجية . فكان يبدو امام تلاميذه لابساً عمامة كبيرة سوداء ، وجبةً طويلةً سابغة على القفطان القديم ، وصرمايةً حمراء . ذلك على قلة من كانوا يظهرون بهذا الزيّ القديم في عصره . ولكنه كان متشبثاً بعاداته هذه لا يتركها ، وقد قال مرة امام تلميذه وابن وطنه الدكتور شبلي الشميل ، على سبيل المزاح : « لو فقد الشاش لاعتممتُ بالقُطُّوعة » والقطّوعة ، في لغة عامة لبنان ، قطعة من الحصير العتيق (١ . الا انه لم يطلق لحيته قط بل كان يحلقها حتى آخر حياته

امّا عادته في الكتابة فكانت على الطريقة القديمة ، اي بان يجلس على الارض متربّعا ، فيمسك القرطاس في يده مسندا اياها الى ركبته ، ويتناول قلم الغزّار من منحب دواته النحاسيّة التي لم تكن تفارق وسطه . وكان له جلَد غريب على تلك الجلسة وإطالتها لتحسين الخطّ ونقل الشيء الكثير ، حتى قيل ان ما نقله من الكتب يبلغ محمول جملين . ومن عاداته ان يكتب ما اعجبه بخطّ يده الجميل انصرافاً منه عن الاملاء ، لانه كان اجشّ الصوت غير فصيح اللسان ، اذا تكلم تأنّى بحديثه واشاراته كي يفهم سامعه . وعلى الرغم من عدم مطابقة صوته للنغمات ، كان مولعاً بالموسيقى – وقد درس هذا الفن في بدء حياته كما قدمنا – مُغرماً بالغناء الحسن . ذكر الدكتور شاكر الخوري انه

١) رواه الفيكونت دي طرّازي : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الاول ، ص : ٨٨

كان في صفّه ، في المدرسة الوطنية ، احد التلامذة من اصحاب الصوت الجميل . فكان الشيخ ناصيف يلقّنه امامه التواشيح ليتعلمها وينشدها على الاصول(١

وكان مولعاً بالتدخين بالغليون تارةً وبالسيكارة اخرى . سواء كان ذلك في البيت ، او في السوق ، او في المدرسة . ولما كان يعلّم الصف الاول في المدرسة الوطنية ، كان يعهد الى احد تلامذته ، الدكتور شاكر الخوري ، في اشعال السيكارة او الغليون ، فيذهب الى خارج الدرس ويشعله ، ويعود بعد ان يدخّن فيه قليلاً . (١ وكان يعهد ايضاً الى غيره من كبار التلاميذ في امر لفّ السيكارة ، فيغافله بعضهم ويسرق قليلاً من التبغ يدخّنونه خفيةً عن المعلمين . فشعر الشيخ مرّةً بتلاعبهم فنزع ثقته منهم ، ووضعها في الشيخ عبدالله البستاني ، لانه كان اصغر تلامذة الصفّ ، ولم يكن له رغبة في التدخين اذ ذاك . اما ولعه بشرب القهوة فلم يكن ليقلّ عن ولعه بالتدخين ، وهما امران يتفقان .

امّا ما سوى ذلك من اساليب التسلية والترويح فكان الشيخ ينفر منها . فيتجنّب جميع المجتمعات التي تُعقد في سبيل اللهو والمزح . ولا يتوقف في طريق ، ولا يمازح في سبيل ، بل كان ، بعد انتهاء الدرس ، يعود الى منزله الكائن قرب المدرسة ، فيقصد جنينته الصغيرة ويبدأ بالشغل فيها حتى يتصبّب العرق من جبينه . فيستريح قليلاً على حجر ، ملقياً معوله الى جانبه ، ظاهراً بكل مظاهر الفلّاح اللبناني النشيط .

هذا الشيخ ناصيف في بساطته الخارجية . ولم تكن صفاته الداخلية اقلّ بساطةً وصفاء نية ، فقد كان ثابت المحبة ، مخلص الصداقة ، رقيق القلب ، حسن التديّن ، مبالغاً في اجتناب السحت ، كما ذكر عنه ابنه الشيخ ابراهيم ، لا يُعطي مالاً ولا يأخذ مالاً بالربى ، ولا يكتب صكّاً فيه ربى (٢ . يجمع الى ذلك رزانة المحضر ، وجد الحديث ، وعفة اللسان ، حتى انه لم يستعمل الهجاء في شعره ، على كثرة التجارب التي تعرض للشعراء في هذا الباب ولم

١) الدكتور شاكر الخوري : مجمع المسرات ص : ١١٢
٢) راجع مقدمة النبذة الاولى من الديوان ، ص : ت

يذكر المؤرخون عنه من هذا النوع الّا بيتين ارتجلهما في بخيل ، على سبيل المداعبة ، وهما :

قد قال قومٌ : ان خبزك حامضٌ والبعض أثبت بالحلاوة حكمه
كذب الجميع بزعمهم في طعمه من ذاقه يوماً ليعرف طعمه؟

وكذلك لم يهجه احد من الشعراء احتراماً ، وتهيباً . وقد قال له احدهم يوماً ، على سبيل المزاح ، ان الشيخ ابراهيم الاحدب ، والشيخ يوسف الاسير يستعدّان لهجائه بقصيدة طويلة ، فتبسّم الشيخ ناصيف ، وقال :

ان ممدوحَ اربعين أميرًا لا يبالي بأحدب وأسيرِ

قال ذلك مورّياً بلفظتي « احدب » و « أسير » . لان « الاحدب » في لغة « المنجّدين » من عامة اليهود ، تُطلق على قوس النداف ، و « الاسير » على الضرّاب .

هذا وقد قرن الى تلك الصفات الحسنة صدق الرواية في الحديث ، ساعدته في ذلك ذاكرته الغريبة . فانه كان كثيرًا ما ينظم القصيدة فلا يكتبها حتى تبلغ البضعة عشر بيتاً . وقد ألّف المقامة اليامية ، وهي الحادية والخمسون من مجمع البحرين ، على ظهر الفرس اذ كان مسافرًا من بيروت الى بحمدون سنة ١٨٥٣ ، فلما وصل اخذ ورقة فكتبها . وكان يحفظ القرآن بتمامه ، وكثيرًا من الشعر القديم والحديث ولاسيما شعر المتنبي ، فضلًا عن النكات والنوادر والاخبار المتعددة في ادب العرب ، مما كان يجعل لحديثه لذة خاصة على الرغم من تلجلج لسانه . فكان اذا روى القصة سرد تواريخها ، واسماء اصحابها ، واسماء بلدانهم ، وكل ما يتعلق بهم فيشعر بها السامع كما لو حضرها .

وعلى الجملة فقد كان الشيخ ناصيف ، في القرن التاسع عشر ، مثالًا سامياً للثقافة العربية التقليدية الخالصة .

هذا هو الرجل المحافظ في مظاهره ومآتيه واخلاقه وصفاته ، وسندرس ، في العدد القادم ، «العالم» المحافظ ، والشاعر المحافظ .

تطاحن الدول

في القرن الرابع عشر قبل المسيح

بقلم الأمير موريس شهاب امين دار الآثار اللبنانية

الدول المتنازعة

كان القرن الرابع عشر قبل المسيح عند الاقدمين كالقرن العشرين في ايامنا هذه : كثرت فيه العلاقات السياسية ، وسُنّت لها الشرائع المحكمة تجنباً للخلاف بين الدول الكبرى . وذلك لان الاسيويين ، بعد ان اغاروا على مصر بجماهيرهم ، وملكوها بضعة قرون ، طُردوا منها ؛ وقام المصريون يفتحون البلاد الاسيوية دفعا للغارات ، وحفظا لحدودهم ، كما احتلّ الفرنسويون اليوم بلاد الروهر ، وقايةً لبلادهم من كرّ الغارة عليها

وكان للمصريين النفع الجزيل من احتلال البلاد السورية ، نظرًا لما في الجبال اللبنانية من طيّب الخشب وهو نادر في مصر ، واساطيل البلاد الكنعانية اي الفنيقية ، تخدمهم جلّ الخدمة ، وإن لم يكن للكنعانيين ملك البحار قبل القرن العاشر

وقد ساعدت الظروف فراعنة مصر ، فقادتهم الاقدار من نصر الى آخر ، حتى اصبح الفتح غريزةً فيهم يتوارثون حبه ، وقد ادّعوا ان البلاد المفتوحة انما هي من مستعمرات اجدادهم ، ومن الواجب عليهم ان يعيدوها لآلهتهم . واتفقت مصالحهم الاقتصادية والسياسية مع هذه المبادئ الارثية ، فزادتها قوة . وكان الفرعون عند عودته من الفتح ينعم على الاله آمون ، اله عاصمته الجنوبية ، باعظم الهدايا . حتى اصبحت اوقافُ هيكل الاله وثروته توازي ملك الفراعنة انفسهم . وما زالت الفتوح تتلو الفتوح ، حتى اصطدم المصريون بدولة عظيمة الشأن ملكت معظم آسية الصغرى ، واكثر البلاد السورية الشمالية ، الا وهي مملكة الحثيين

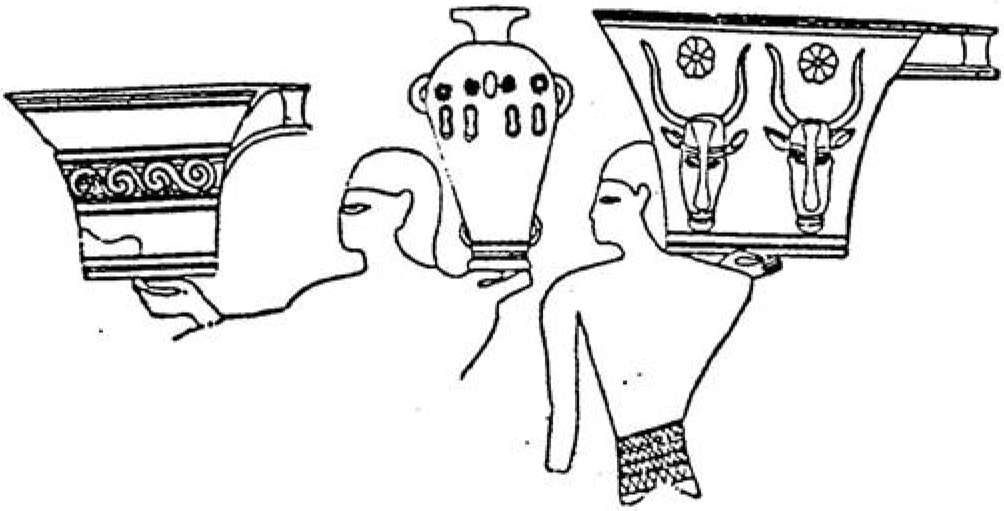
اما الحثيون فهم شعب عظيم نجهل عنه كثيرًا ، لاننا حتى الآن لم نتوفق

الى حلّ لغز كتابته ، وهي على الغالب رَسمٌ من نوع الكتابة الهيروغليفي
مصر . وفي المتحف اللبناني غرفة بكاملها فُرشت جدرانها بالكتابة ا
التصويرية المنقولة عن صخور جبال كيليكية . واما ما نعلمه عن هذه ال
العظيمة فقد ابدته لنا الحفريات في جرابلس ، وفي عاصمة البلاد الحثية بوغاز
المدعوة قديماً « حتوسيل » ، على مقربة من نهر كيزيل ارمك في منتصف آ
الصغرى . وكتابة الحثيين على شكلين : تصويرية ، وقد اتيت على ذكر
ومسمارية ، وقد أُخذت عن البلاد الكلدانية الممتدة ما بين النهرين. ويوا
هذه الكتابة المسمارية ، المعروفة معرفة توشك ان تكون تامة ، تمكنّا
الاطلاع على سياسة الحثيين وتجارتهم

ولم يكن في ذلك العصر ، في جميع الشرق الادنى ، مملكة تضا
بنفوذها الاقتصادي ممالك المصريين والحثيين سوى الدول المتعددة في جزر
ايجي ، والقسم الكبير من الشاطئ كطروادة مثلًا ، مع معظم جزيرة قبر

وقد اشتهر اهل الجزر بذوقهم السليم في الفنون الجميلة ، فكان م
البناؤون الماهرون ، ولهم من ماضيهم تاريخ مجيد عرفناه حتى نحو الثلاثة آلا
سنة قبل المسيح. وكانوا على حذق عظيم في فن البحارة ، وهم تجارة طبعاً ، و
جابوا بسفنهم البحر المتوسط والقوا نفوذهم على جميع اطرافه ، حتى قا
صناعتهم اهل فنيقية وفلسطين وسورية ، اي الكنعانيون والاراميون ،
اسماء فنيقية وفلسطين وسورية لم تُطلق على هذه البلاد الّا منذ القرن الـ
قبل المسيح . وفي المتحف الوطني من صنع اهل الجزر ، او مما نُقل
صناعتهم ، خزف وتحف جميلة الهيئة والرسم . وكثيرًا ما استُعملت هذه الخز
الفخارية لنقل الطيوب، وزيوت الجزر ، وخمورها المشهورة . ويرى المطالع ، في الرسم
بعض الآنية من عمل الجزر يقدمها سكان جزيرة كريت الى فرعون مصر .

وقد طمر النسيان منذ القدم هذه المدنية الرائعة ، حتى ان هوميرو
الشاعر في القرن الثامن قبل المسيح ، حين ابدع إلياذته ، جهل كيان هـ
المدنية نوعاً ما ، ونسب خطأً بدعها الى غيرها من المدنيات. وبقيت مدنية اه
الجزر مجهولة كل الجهل حتى عصرنا هذا ، اذ قام سنة ١٩٠٢ بعض الاثري



الرسم ١ : هدايا سكان جزيرة كريت الى فرعون مصر

عن موري وداڤي (Moret et Davy)

الاميركان وباشروا الحفريات فوجدوا آثار هذه المدنية العظيمة وبقايا فنها الجميل .

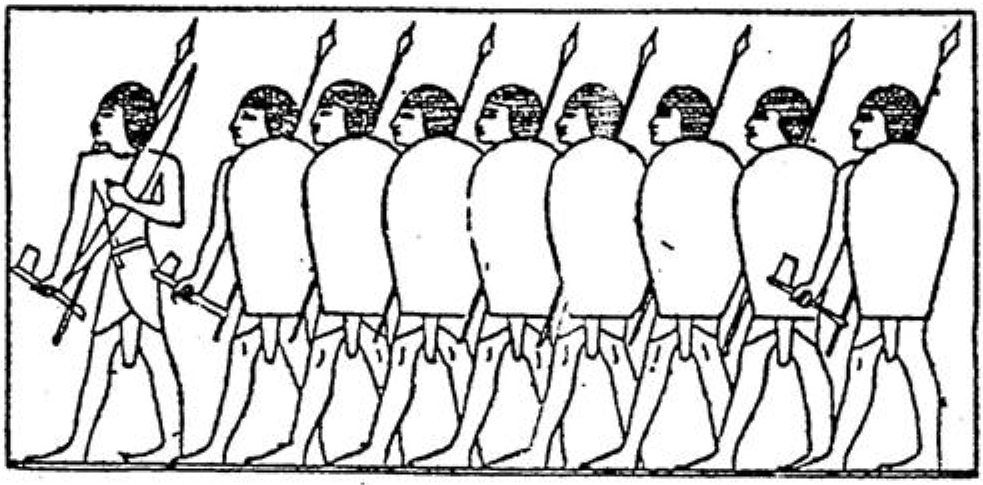
هذه هي الدول التي سطت او فاز نفوذها على الشرق الادنى في القرن الرابع عشر ، وقد احتكت منافعها الاقتصادية احتكاكاً كاد يوقد شرر حروب هائلة . فكان الفضل لحكمة ملك مصر امينوفيس الثالث ، اذ توصل بدرايته لتوطيد العلاقات الحبية والسياسية بين الممالك المختلفة . فساد الوئام وعاشت البلاد السورية بسلم وهناء . ولكن لسوء الحظ لم يكن ذاك السلم سوى رماد على نار تهب لدى اول نفخة .

***

السياسة المصرية

اختلفت الدول في طرق الاستعمار منذ القدم ، وقد ابدى المصريون من الحنكة ما يثبت تضلعهم من السياسة الخارجية والداخلية ، فهم قبل ان يحتكوا بالعدو الخارجي ، سعوا كل السعي لتوطيد سلطتهم في البلاد المحتلة

وقد اظهر الفرعون في حكم هذه البلاد حلماً شديداً ودراية اشد ، اذ ترك فيها الملوك الوطنيين الذين امن شرهم ، واكتفى بفرض الضرائب العادلة ، وطاب تسديدها بانتظام . وكي يتأكد ولاء الملوك الوطنيين ، اسر اولادهم او



الرسم ٢ : صورة جيش المشاة المصري على عهد الدولة الثامنة عشرة
عن موري ودافي (Moret et Davy)

انسباءهم بحجة تثقيفهم في بلاطه الملكي في مصر ، واحتفظ في حاشيته بمن نازع هولاء الملوك عرشهم ، ليخيفهم من مزاحمة خصمهم . وقد جعل الفرعون في البلاد ، لحفظ السيطرة المصرية والجباية الضرائب المفروضة ، مفوَّضين سامين لهم القطع والحل في الامور بعد مشورة الفرعون في بعضها . وجعل ايضاً في بعض النقط الهامة اقساما من الجيش للدفاع عن البلاد المحتلة ضد العدو الخارجي والداخلي . واحتراماً لشعور الشعوب الخاضعة ، اقرَّ الفرعون بالوهية آلهة البلاد المحتلة ، ولم يكتفِ بان سمح لاهل البلاد ان يبقوا على عقائدهم الدينية بل نصب بنفسه ، او بواسطة اقاربه او كبار موظفيه ، معابد جديدة لالهة البلاد ، ورمم ما خرب منها . فكانت السيادة المصرية على هذه الحال سيادة ممدّن لا مستعمر . وقلما سلك الاقدمون هذه الطريقة قبل اليونان . هذا ما كان من امر الفرعون في سياسته مع البلاد المحتلة ، اما في سياسته الخارجية ، فقد كانت مهارته اوفر



الرسم ٣ : صورة « خازن » كنعاني
ومعنى « الخازن » الوالي او الحاكم
عن موري ودافي (Moret et Davy)

فحين اعتلى العرشَ الفرعونُ امينوفيس الثالث، في اواخر القرن الخامس عشر، كانت بلاد الكلدان قد اصيبت بضربة اوشكت ان تقضي عليها ، ولم يبقَ لها من دور الّا في الحياة الاقتصادية . أنعقد معها الفرعون عهوداً حدّدت شروط التبادل الاقتصادي بين البلدين . وعلى كل فان الفرعون حرّض ملك اشور على بلاد الكلدان سرّاً ، فامن شرّها . ولم يبق في وجه الفرعون من عدوّ يخشاه سوى الحثيين ، لاسيا وقد فترت العلاقات معهم نظراً لما جرى من الاحتكاك السياسي. وملك الحثيين ملك عظيم مهيب ، وليس له من عدوّ يقف في وجهه سوى ملك الميتاني . وبلاد الميتاني تمتد بين البلاد الكلدانية والاشورية شرقاً ، والبلاد الارمنية شمالاً ، والحثية غرباً ، وسورية الشمالية جنوباً . فجعل الفرعون يسعى لمحالفة ملك الميتاني وصاهره ، ووطد دعائم عرشه فكان له هذا صديقاً صدوقاً وخير حليف ، لاسيا اذ عرف ان عون الفرعون له هو اكبر قوة ضد الاعداء المحيطة به . وحين مات الملك امينوفيس الثالث حزن عليه جداً ملك الميتاني ، دوشراتا ، فكتب الى ابنه وخلفه امينوفيس الرابع : « حين وصلني خبر وفاة ابيك مرضت من حزني . ولكني عرفت ان ابنه خلفه فقلت : كلّا امينوفيس لم يمت » . وما اشبه هذه العبارة بالهتاف الذي طالما ردده البلاط الملكي الفرنسوي عند موت عاهله : « مات الملك فليحيى الملك ! »

***

مضربات قطن (المشرفة)

مات الملك امينوفيس الثالث وقد قضي على السلام بموته . فخلفهُ ابنه امينوفيس الرابع ، وهو حمو توت عنخ آمون ، وقد ولي الحكم من سنة ١٣٨٠–١٣٦٢ قبل المسيح . وكان لحكمه دور مهم في التاريخ . فان كثرة الفتوح والهدايا الواردة على معبد الاله آمون جعلت سيطرة رئيس كهنة المعبد توازي سيطرة الفرعون ، لا بل تفوقها . ولذا خشي الفرعون ان ينقلب عليه شر هذه السطوة . فاراد التخلص منه ، وذلك بنشر الدعاية لاله كان من اعظم آلهة مصر القديمة ، وقد رآه المصريون في جميع فتوحهم معبوداً في البلدان تحت اسماء واشكال جمة لا تخفى دونها حقيقة طبيعته الالهية . وهذا الاله هو كوكب



الرسم ٤ : قناع الفرعون امينوفيس الرابع

عن ماسپيرو (Maspero)

الشمس الساطع . فاعلن امينوفيس وحدة الاله الشمسي لا شريك له ، وخلافاً لما اعتاده القدماء ، اراده إلهاً لمصر وللبلاد الغريبة ايضاً . وجعل يبشر اتباعه بديانة سامية ، فيقول المؤمن للاله : « ارحمني يا رب لاني سقيت العطشان ، واطعمت الجائع ، وكسوت العريان ، ودافعت عن الارملة والايتام . . . » الى ما شاكل ذلك . وقام اتباع الفرعون يحطّمون باسره تماثيل الالهة ، خاصة الاله آمون ، ويضطهدون كهنتهم . وقد عثر الاثريون على عاصمة الملك محفوظة كل الحفظ



الرسم ٥
الفرعون امينوفيس الرابع يبشر اتباعه في تل العمارنة ، بديانة الشمس . والى جنبه امرأته
عن موري (Morot)

في انقاض تل العمارنة ، لان توت عنخ آمون بعد موت حميه وارتقائه العرش عاد الى سياسة اجداده وهجر بلد الزندقة . واكثر هذه الآثار الواح من الطين المطبوخ حفرت عليها كتابة مسمارية ، لان هذه الكتابة كانت الرسمية في اكبر دول العصر . وبين هذه الرسائل ستة كتب أتت فرعون مصر من بلد تدعى قطنة ، وفحواها ان ملك المدينة يطلب من الفرعون النجدة ضد عدو عظيم تألبت حوله جميع ملوك الجوار ؛ وملك قطنة يشكو من تضييقهم عليه لانه بقي اميناً لفرعون مصر . ثم ان ملك قطنة جعل يشدد الطلب ، زاعماً ان العدو اصبح على ابواب مدينته ، وان لم تدركه نجدة الفرعون فهو هالك لا محالة ثم انقطعت اخبار ملك قطنة عن اهل مصر ولم يعرف عنه شيء . فيما بعد . اما الحفريات في بلاد الحثيين ، نبهت العلماء الى نص حثي مسماري يعدد كنوز معبد قطنة ، ويقول ان ملك الحثيين بعد ان استولى على هذه الكنوز ونقلها الى عاصمته ، احرق المدينة باسرها واعتقل سكانها

حار العلماء في امر هذه المدينة المهمة ، وقد عرف عنها ما عرف . وقلما اتتنا الاخبار عن بلد كما اتتنا عن هذا ، يتصل بعضها ببعض غير متنافية سواء صدرت من صديق او من عدو . لكن لم تجدِ الحفريات نفعاً وبقيت قطنة تعد بين المدن المجهولة حتى كتب الاب رونزفال اليسوعي مقالاً عن تمثال صغير وجد في المشرفة ، قبل الحرب واثبت كون هذا الشخص ينتمي الى نحو القرن العاشر قبل المسيح . فتولى الكونت دي منيل دي بويسون حفريات المشرفة وهي قرية تبعد عن حمص ١٥ كيلومتراً . فوجد مدينة احاط بها سور مربع في منتصف كل من



الرسم ٧
إناء خزفي وُجد في قطنة (المشرفة ، قرب حمص)

جهاته الاربع باب مؤلف من ثلاث باحات تبعاً للعادة الحثية . وقد انتشرت المدينة بمعابدها على مرتفع من الارض حماه السور من جهة ، وشفير اصطناعي من الجهة الاخرى فكان علوه نحو الستة امتار . وقد نبَّه تحصين هذه المدينة الافكار فتواصلت الحفريات واذا بمعبد قد دمرته النيران ، وُجدت فيه الواح من الطين المطبوخ تعدّد موجودات هيكل الالهة نين . وقد ارتقى عهد انشاء هذا المعبد الى ثالث



الرسم ٨ : إناء خزفي آخر وُجد في قطنة ، وطريقة الزينة فيه كثيرة الاستعمال في احدث النقوش العصرية
والرسمان ٧ و ٨ عن الكونت دي منيل دي بويسون
(du Mesnil du Buisson)

اسرة ملكت اور في بلاد الكلدان ، وهي المدينة التي هجرها ابراهيم الخليل نحو القرن العشرين قبل المسيح . وقد ابدت حفريات اور ، هذه السنة ، تحت ادارة العالم الانكليزي هولي ، كنوزاً هي للعراق ككنوز توت عنخ آمون لمصر . وبعد ان كان للكلدان النفوذ الاكبر في قطنة جعل النفوذ المصري في القرن الثامن عشر قبل المسيح يمتد اليها . والدليل على ذلك تمثال لابي الهول اهدته احدى

اميرات الاسرة الثانية عشرة المصرية المدعوة إيتا لالهة قطنة الجليلة (انظر الرسم ٩). وما زال النفوذ المصري يضعف ويقوى في قطنة حتى أحاط بها الحثيون ودمروها. وقد امتدت تجارة اهل الجزر الى المدينة قبل خرابها. والدليل على ذلك بعض الاواني الفخارية الجميلة الصنع والرسم التي وجدت في اطلال البلد. ويرى المطالع اثنتين منها في الرسمين ٧و٨ وهما من صنع جزر بحر ايجي من القرن الرابع عشر. واماً الفضل في معرفة اسم البلد فيرجع الى المسيو شارل ڤيرولو، فهو اختصاصي بالكتابة المسمارية وهو اول من اعلن قراءة اسمها

هذه بلدة لعبت بها ايدي المحرقين فبقيت منذ القرن الرابع عشر ق.م. منعقاً للغربان يسود عليها الخراب، وتنهبها ايدي التجار؛ حتى جاءت طرق القرن العشرين العلمية فبعثتها من النسيان بعد ثلاثة آلاف واربعمائة سنة من الهجر والخراب

حول موتمر المستشرقين السابع عشر
في اكسفرد

للاب اريك بروس اليسوعي سكرتير المؤتمر للصحافة

ان الاب بروس اليسوعي قضى عامين في كلية القديس يوسف، ايام ازدهار المعهد الشرقي فيها، وانكب على العلوم الشرقية ثم تخصص بالدروس الاشورية، وعاد الى انكلترة بلاده. وهو اليوم من عمدة الرجال المعهود اليهم بالتنقيب عن آثار اور الكلدانيين لصاحبي المتحف البريطاني ومتحف كلية بنسلفانية. لا تخف وطأة الحر الا نراه مارًا بيننا بعد قضاء ايام العطلة، حاطًا رحاله في بيروت، وهو على طريق العودة الى العراق. ولما انعقد موتمر المستشرقين أخيرًا في اكسفرد، عين فيه الاب بروس مندوبًا خاصًا ليوافي الصحافة بالافادة عن اهم اعمال المؤتمر. فاخذت عنه التيمس، والديلي تلغراف، والمورنينغ بوست، والاسياتيك رفيو، والنيرايست وغيرها من امهات الصحف والمجلات ما نشرته على قرائها، وقت انعقاد المؤتمر. وقد تفضل حضرته ولخص بعض اخباره لقراء «المشرق» ف. ت.

اول موتمر عقده المستشرقون كان في باريس عام ١٨٧٣، ثم تلاه خمسة عشر موتمرًا كان اخيرها في اثينة عام ١٩١٢. والموتمر الحالي هو الاول منذ نهاية الحرب. وقد عاد الفضل الاعظم في انعقاده ونجاحه لكلية اكسفرد

كلية اكسفرد مجموعة معاهد علمية يبلغ عددها الاحد والعشرين، كل معهد منها قائم بنفسه ومستقل عن غيره، ماديًا وادبيًا ومعنويًا؛ وله اساتذته

وتلامذته واغراضه الخاصة . ويحمل المعاهد يدعى كلية بواسطة الرابطة المركزية الكبرى التي تعين موادّ الامتحانات ، وتعطي الشهادات ، وتهتمّ بمصالح الدارسين وحمايتهم

من يوم الاثنين ٢٧ آب الى يوم السبت ١ ايلول ، فتحت كلية اكسفرد معاهدها لقبول المستشرقين الملبّين دعوة لجنة المؤتمر . فجاوزوا زهاء ٦٠٠ ، وحلّوا في دور التدريس الواسعة وهي خالية من تلامذتها ايام العطلة . وبينهم رجال من الشرق العربي ، ومن المغرب ، ومن الهند ، بعضهم يُعرف من عمامته وجبته ، وبعضهم متزيّ بزيّ الافرنج. وكان بينهم ممثلون لما ينيف على ثلاثين دولة او حكومة. وكان قداسة الحبر الاعظم قد ارسل من قبله وفداً خاصاً ، رأس عليه سيادة المنسنيور « مولى » ، وقد رفعه بمناسبة انتدابه الى المؤتمر الى درجة « المقرب الخاص لشخص الحبر الاعظم » (Prélat domestique) . والمنسنيور مولى اصله من كريت ، نشأ في الدين الاسلامي ثم تنصّر وسيم كاهناً ، وعُهد اليه امر التعليم في المعهد الشرقي البابوي . واستصحب سيادته الاب شميت مدير المتحف الرسائلي والاثنولوجي في اللاتران ، ومؤسس مجلة « انتروبوس » الشهيرة والاستاذ في كلية ڤينا ؛ والاب ڤكاري اليسوعي الاستاذ في المعهد الكتبي البابوي الروماني ، والاب دايل اليسوعي استاذ الاشورية في المعهد نفسه

وكان ممن لفتوا الانظار من المؤتمرين الكاثوليكيين : السيد تيسران مساعد مدير مكتبة الڤاتيكان ، والمتولي شؤون القسم الشرقي فيها ، وممثلو المعاهد والكليات الكاثوليكية ، كالمعهد البابوي الكتبي ، والمعهد الاورشليمي اليسوعي الكتبي اللاحق بمعهد رومة ، وكنيسة القديس يوسف اليسوعية في بيروت . وكان عدد المعاهد العلمية الممثلة في المؤتمر ينيف على المئة

وقد عُهد برئاسة المؤتمر الى اللورد تشالمرس (Chalmers) احد الموظفين الكبار في بلاد الهند سابقاً . خطب مرات في نهاية الولائم التي أُقيمت للمؤتمرين ، فكان لكلامه خير وقع في القلوب ، واقوى مساعد على شد عُرى التفاهم والتحابب بين المؤتمرين على اختلاف اجناسهم ومشاربهم

وكانت لجنة المؤتمر قد تشكلت منذ نحو عام ، لتدرس مشروعه ، وتعين شروطه المادية والعلمية ، وتبث الدعوة اليه في الخافقين ، وتهيئ له المكان في اكسفرد ، وتتوقى على قدر الامكان كل مانع يحول دون نجاح المؤتمر التام

والحق يقال ان تلك اللجنة قامت بعملها خير قيام . ومن محاسن تدبيرها انها قسمت المؤتمر الى دوائر تسع وزعتها على المعاهد في اكسفرد فكانت كل دائرة تعقد جلساتها الخاصة في القاعة الكبرى لمعهدها الخاص ، حيث تجد كل ما تحتاج اليه لمذاكراتها

* * *

وتخصصت كل دائرة بمعالجة فرع من العلوم . فالدائرة الاولى ضمت العلماء الاختصاصيين في علوم الانتروبولوجية والإثنولوجية اي علوم نشأة الانسان وتفرع الشعوب . وجمعت الدائرة الثانية اقطاب العلوم الاشورية

وفرقوا علماء الآثار الارمنية والقوقاسية والمصرية والهندية والعبرية والسريانية والاسلاميـــة وبلاد الشرق الاقصى ، في الدوائر الثالثة والرابعـــة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة . واختصت الدائرة التاسعة بالفنون الشرقية

وكان المؤتمرون يلتئمون في دوائرهم كل يوم مرتين ، من الثلاثاء الى الجمعة ، من نحو الساعة ٩،٣٠ الى الساعة ١ ، ومن نحو الساعة ٥ الى الساعة ٧ وكانوا يصرفون ساعات السهر ، بعد العشاء ، في حضور المحاضرات المعروضة فيها الصور المنورة . وكانت ابواب المؤتمر مفتوحة لكل حامل تذكرة الدخول ، وثمنها ليرة انكليزية ؛ فكان يقدمها عند دخوله ، وتبقى بين يديه فيقدمها مرة ثانية او ثالثة كلما قصد حضور جلسة من الجلسات العلمية في ايام المؤتمر . وكان على المؤتمرين انفسهم ان يقتنوا تلك التذكرة

* * *

وامتاز عدة كهنة كاثوليكيين بالدروس التي عرضوها في دوائرهم الخاصة . تقدم الاستاذ كوبنس من لوفان مقالاً في قضية سفر التوراة الذي وجده حلقيا الكاهن في الهيكل على ايام الملك يوشيا (٢ الايام ٣٤ : ١٥)

ولفت الاب دايمل اليسوعي من رومة انظار سامعيـــه الى مشكل حروف

الزيادة في اول الفعل السومري ، فاشرأبت اليه الاعناق لما كان لكلامه من التأثير الجميل

وذكر الاب مالون اليسوعي ما حصل عليه من النتائج عقب الحفريات التي قام بها بالقرب من اورشليم ، هو وغيره ، وقد كشفوا القناع عن آثار سابقة للتاريخ

ومن الدروس الشائقة المقدمة للمؤتمر مقال للمنسنيور موّلى عن الكاتب التركي كمال نامي الذي ألّف ردًّا على رنان الزنديق ، وبحثٌ للاب باور اليسوعي ، الدكتور من معهدنا الشرقي والاستاذ في رومية ، في المزمور الثاني والعشرين وفي آيات العهد القديم المساعدة على كشف غوامض هذه الكلمات : « عصاك وعكازك هما يعزيانني » اذا ما عُوّل على تفسيرها بمعرفة عادات بلاد فلسطين الحالية . ومقالٌ للاب ڤكاري على ما روي عن الفردوس في تاريخ الديانات وعمّا يُعرف من امره في اعتقادات الشعوب ، وخاصة في التعليم الكاثوليكي المتعلق بالخطيئة الاصلية

وقرأ الاب شميت محاضرة جليلة الشأن في نشأة اللغات الاسترالية ، فقال انه لا سبيل الى الحكم في اصل الديانة عند الاوستراليين ما لم نكن قد وقفنا على اسرار لغاتهم ، واستوضحنا غوامضها . ولكن ليس لنا شيء من ذلك . ثم استحثّ المؤتمر على استعمال نفوذه عند الحكومات نبذل العناية في درس اللغات الاوسترالية ، لانها على قاب قوسين من الاندثار ، فاذا ضاعت ذهبت معها آمالنا باستجلاء مختفيات تاريخ تلك الشعوب ، وبالكشف عن حقيقة اعتقاداتها الدينية

فاستحسن جمهور المؤتمرين اقتراح الاب شميت وقرروا باجماع الآراء ، الالحاح على الحكومة الاوسترالية لكي تسعى حالًا في تحقيق اماني المؤتمر ، إمّا بتأسيس معهد خاص لدرس اللغات الاوسترالية مشابه للمعهد الاميركي في واشينغتون ، واما بانشاء دائرة يُعهد اليها بمراقبة حياة اللغات الاسترالية كالدائرة المنشأة بالهند ، واما باستعمال وسيلة من الوسائل الفعّالة لبلوغ ذلك المأرب الشريف

وعرض الاب بويج اليسوعي ، مندوب كليتنا ، على الدائرة المهتمة بالعلوم الاسلامية مشروع نشر الكتب الفلسفية العربية التي استفاد منها فلاسفة اوربة المدرسيون في القرون الوسطى (Bibliotheca Arabica Scholasticorum). وقد اخذت كلية القديس يوسف في بيروت على عاتقها امر نشر تلك المؤلفات تحت ادارة الاب بويج وكان ذلك المشروع محققاً لفكرة اختمرت منذ اعوام عديدة في اذهان مؤرخي الفلسفة المدرسية ، وكان الاب شوسا اليسوعي والكردينال ارله اول من حث على استثمارها

فلبى المؤتمر طلب الاب بويج كما لبى طلب الاب شميت وخصه في جلسته الاخيرة العامة بعبارات المديح والتشجيع

ومضت ايام المؤتمر بالهناء والسرور تتناوبها المحاضرات العلمية والاجتماعات الودية والولائم والمتنزهات فتجلت فيها مظاهر الآداب الاجتماعية والاخلاق الشريفة باجمل مظاهرها ، اذ اتفقت الآراء وتقاربت القلوب ، واشتدت عرى الصداقة بين المؤتمرين وانفسح المجال للمذاكرات المفيدة والمحادثات الفنية ، مما لا تنحصر نتائجه في زمان المؤتمر ومكانه فقط ، بل تجتازه الى ما وراء البحار فتزرع في بلاد الغرب معرفة الشرق وحبه ، وتجتذب قلب الشرق وعقله الى التفاهم مع الغرب ، ليتسابق واياه في ميدان التمدن الحقيقي والعمران الدائم

وطلب بعض المؤتمرين المجتمعين في الدائرة المخصصة للعلوم الاسلامية ان يلتئم المؤتمر الآتي في دمشق ، او في بيروت ، او في القاهرة. لكن طلبهم لم يبلغ مركز الدوائر العام فظل محصوراً ضمن دائرتهم الخاصة . وقد استحسن المؤتمر ، في جلسته الاخيرة ، الكلمات التي القاها احد المستشرقين الكبار وعمدة المؤتمرين ، داعياً فيها الجميع الى اللقاء في المؤتمر الثامن العشر وسوف ينعقد ، ان شاء الله ، سنة ١٩٣١ في مدينة ليدن في هولاندة

مجلة المجلات

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

المسيحيون والصحف الاسلامية — لا تطأوا اللآلئ — الماسونية — اصلاح الازهر — المستشرقون وعلم الشرق

المسيحيون والصحف الاسلامية

جاء في العرفان (ايار-حزيران ١٩٢٨ ، وجه ١١٢٣-٢٤) عن مراسل في الارجنتين

« لماذا لا يرغب اخواننا المسيحيون في الاشتراك بالجرائد والمجلات الاسلامية ويقتون مطالعتها حتى الطبقة المتعلمة الراقية منهم ويصدر في هذه الجمهورية جريدتان اسلاميتان احداها [?] من الصحف المصورة الراقية ولا يتجاوز مشتركوها المسيحيون عدد الاصابع مع ان الصحف المسيحية أثرت من معاضدة المسلمين لها ولو ارسلت الجريدة لرجل امي مسلم يقبلها ؟ »

طرح هذا السؤال مراسل العرفان ولا يفوت القراء ما في كلامه من المغالاة اذ قال ان المسلم الامي يشترك بالجريدة المسيحية لكونها مسيحية . فاجاب صاحب العرفان على ذاك السؤال :

« تجول هذه الحقيقة الجارحة في نفسنا من زمن بعيد ولا نرى مجالا لابدائها . اما وقد سأل السائل فلا بد من الجواب : المسيحيون اكثر تضامناً من المسلمين واحرص على ترويج صحفهم والاشادة بادبائهم . ونعرف صحفاً لو كانت اسلامية لماتت في مهدها ومع ذلك فهي رائجة رواجاً عظيماً وهذه صفة حسنة يمدحون عليها لكن عدم اشتراكهم بالصحف الاسلامية ولو كانت راقية يعد تعصباً غير محمود »

واننا نشكر لصاحب العرفان حسن ظنه باخلاق المسيحيين الاجتماعية وتقريظه تضامنهم بعضهم لبعض لكننا نتكر عليه اتهامه اياهم بالتعصب الذميم . لان السواد الاعظم من القراء اذا فضل جريدة على جريدة او مجلة على مجلة انما فضلها لانها تفيده وتلذه دون غيرها ، ليس الا . ومن

المعلوم ان الصحافة بالاجمال نشأت في اوربة ودخلت منها الى بلادنا على يد المسيحيين الشرقيين الذين طالما كانوا صلة بين العرب المسلمين والعالم الغربي : فان السريان جدودنا عرفوا الى العصر العباسي مؤلفات اليونان وفتحوا كنوزها للمسلمين وكذلك صحافيونا (١ اليوم فانهم نقلوا معارف الغرب الى العربية وقربوها الى عامة القراء قبل ان يخطر على بال المسلمين انشاء صحافة مسلمة. وان طبيعة الامور تقضي للفوز بميدان السباق لمن ادركوا الهدف قبل غيرهم. فلا عجب اذن ان توغلت الصحافة المسيحية في مصاف الامة وجعلت لها منها اصدقاء وزبائن عديدين عاهدوها على موالاتهم وعاهدتهم على استمداد نجدتهم ومعاونتهم رفعاً للواء العلم وتهذيباً للشعب ويحق لها ان تفاخر اجمالاً وتقول انها وفت بوعودها : فليس ثمّ تعصب ذميم فيمن فضلوا تلك الصحافة على غيرها. وهناك سبب آخر لقلة عدد المسلمين المشتركين بالصحافة خاصة في البلاد السورية فان « ثلثهم من البدو » كما اعلنت ذلك مؤخراً مضبطة الكتلة الوطنية الموزعة في الناس، ومن المعلوم ان البدو لم يألفوا قراءة الجرائد والمجلات

لا تطأوا اللآلئ

الحب . . . والجمال . . . والدين . . . والادب . . . كلمات عسجدية ودرر ثمينة تُدبج بها المقالات النفيسة وتنظم فيها القصائد المطربة على ان تُسلَّم ايدي من هو كفوء لها فتعطى القوس باريها

ولكن اذا سقطت الجواهر المعدة للصبيان، او تناولتها ايدي من ادعى الفن والفلسفة وليس هو الا متشعر جسور، فانه لينثر الهباء في عيون السذج ويحط من مكانته ويعرض نفسه للازدراء في عيون العقلاء

اليك عنوان المقالة التي نشرها السيد سلامه موسى (الهلال : اوغسطس وجه ١١٧٦)

« الحب والجمال — الحب مذهب الاديان، والجمال مذهب الآداب الرفيعة، وكلاهما ينبع من اصل واحد هو البصيرة »

وقد ترك فيها المؤلف العنان للمخيلة والقلم فتظاهر بالتعمق والابتكار ومعالجة المواضيع العويصة والمشاكل الفلسفية الفنية والنفسانية. وانك لتقرأه مرةً ومرتين وثلاث مرات ولا تمالك ان تأسف على الحب والدين والجمال والادب ان يُخلط بها هذا الخلط فيزيد اشعارك بمسيس حاجة اللغة العربية الى معجم فلسفي يحدد معاني الالفاظ فلا يتناولها العابثون غير محلها . واننا لنكتفي ببعض ما جاء عن الحب وعلاقاته بالدين

ذكر صاحب المقال الحب الديني فحطّ من قدره السامي اذ جسّمه بالحب المادي لما ضرب له مثالاً من حب الفتى المشغوف بفتاة وعشق الاديب المكلف بجمال الطبيعة وما هذا الحب إلا بالدركات السفلى بالنسبة الى الحب الكامل المنزه عن الهيولى القائم على تبادل المعرفة والمشاركة

١) راجع تاريخ الصحافة العربية للفيكونت دي طرازي (وجه ٤٢)

في الحيرات بين الخالق والخلائق العاقلة فيهبط بنا من عالم الروح الى عالم المادّة

ومما يزيد بالطين بلة انه اتخذ ذلك الحب المادي غاية ما يبلغ اليه المتديّن بعبادته فقال ان النسّاك والمتعبدين كافةً ليسوا إلّا رجالاً سلب الحب او المجون لبهم

قال : « ان الحب هو أساس الدين ولا نعني ديناً بعينه بل نعني جميع الاديان فلو أن أحدًا غريباً عن الارض أراد أن يعرف الصفة الغالبة السامية التي ينشدها رجال الاديان لقلنا له أنها الحب . وقد عرف الناس من قديم الازمان شيئاً يسمى الصوفية ما زلنا نحن نعرفه ونسعى له فلو أردنا أن نلخص معنى الصوفية لقلنا « انها ربط الانسان بالناس والطبيعة برباط الحب » . وليست الصوفية سوى الدين بلا وطن ولا قومية أو هي لباب الأديان قد استخلص منها جميعاً . فمذهب الغزالي ومحيي الدين بن عربي وغيرهما من الصوفيين المسلمين لا يختلف بتة عن مذهب الصوفيين من البراهمة والمسيحيين وهو الحب

وقال : « وكما اننا نفهم معنى الصحة من علامات المرض كذلك نفهم من تهتك الصوفيين احياناً ان الدين ... يحدو رجاله احياناً الى الاستهتار بالجمال »

فينتج من هذه الاقوال وغيرها ان الدين في لبابه يدفع الى الاستهتار والتهتك فبئست النتيجة وقد ساءت مقدماتها

ولو اردنا مناقشة المؤلف على كل عبارة ضالة إتانا بها مثل هذه : ان دين الصوفيين والبراهمة والمسيحيين سيان ، لأدّى بنا الكلام الى ما لا مجال لذكره واعرنا سفاسفه اهمية لا تستحقها

الماسونية

استفتى احد ادباء تونس حضرة الاستاذ رشيد رضا صاحب مجلة المنار في امر الماسونية فاجابه (المنار ، يوليو وجه ٢٧١)

« أعلم بالاجمال ان الجمعية الماسونية قد أسست لاجل هدم الحكومة الدينية البابوية أولا وبالذات ثم هدم كل حكومة دينيّة وإقامة حكومة لادينية مقامها وحيثما تم لهم ذلك فان الجمعية تكون رابطة ادبية وصلة تعارف وتعاون بين أهلها المؤلفين من أهل الملل المختلفة وأكثرهم لا يعرف منها الآن أكثر من ذلك . والواضعون لاساسها الاول هم اليهود وغرضهم الاساسي منها

إعادة ملك سليمان الديني الى شعبهم في القدس وإعادة هيكله الى ما وضع له وهو المسجد الاقصى ، فأعظم كيد لهم وجد في الارض انهم هدموا الحكومات المسيحية الدينية من اوربة غربيها فشرقيها والحكومة الاسلامية التركية والنطرنية [كذا] الروسية ، وبعد هذا كله ظهرت جميتهم الصهيونية تستغل خدمتهم للانكليز في الحرب بالتوسل بها الى إقامة حكومة دينيــة يهودية في فلسطين واذا اردتم الاطلاع الواسع على شؤون هذه الجمعية فعليكم بما كتبه فيها أشد خصومها في العالم وهم الجزويت وليسوا لديكم بقليل » [كذا]

اصلاح الازهر

اليك ملخص المذكرة التي وضعها الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي شيخ الازهر وقد نشرتها مجلة المنار (سبتمبر وجه ٣٢٥)

قد تولى سلف علماء المسلمين القيام بمهمة التعليم فدرسوا المذاهب والديانات والفلسفة على ما كان معروفاً في زمانهم وكانت للعقل عندهم حرمته وله حريته التامة في البحث. وكان الاجتهاد غاية يسعى اليها كل مشتغل بالعلم متفرغ له

«ولكن العلماء في القرون الاخيرة استكانوا الى الراحة وظنوا انه لا مطمع لهم في الاجتهاد فاقفلوا أبوابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم ، وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم النــاس ، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث . وجهلوا ما جد في الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء فاعرض الناس عنهم ونقموا هم على الناس»

وقد اصاب الازهر ما اصاب غيره من المعاهد في الشرق من خمول وضعة

« فيجب على الامة المصرية وهي تحمل راية الامم الاسلامية أن تنقي هذا المصباح (الازهر) من الاكدار وأن توجد له جهازاً قوياً يستمد نوره منه على طريقة تناسب مع ما جد في العالم من أطوار في العلم وفي التفكير وفي الحوار والتخاطب وفي طرق الاستدلال والبحث . والدولة تنفق على الازهر قــدراً عظيماً من المال لا تستطيع ان تمنعه عنه ولا تستطيع أيضاً ان تلغي الازهر وما يتبعه من معاهد لتوجد بدلها معاهد أخرى ، فالحاجة الى اصلاح الازهر واضحة لا تحتمل نزاعاً ولا جدلاً»

واني أقر مع الاسف ان كل الجهود التي بذلت لاصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر في اصلاح التعليم»

ووضع صاحب المقال برنامج الدروس الدينية ثم قال :

« يجب ان تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الاسلاف وأن يضاف الى هذه الدراسة دراسة اخرى على النحو الحديث في بحث اللغات وآدابها . يجب أن توجد كتب قيمة في جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة وان تكون الدراسة جامعة بين الطرق العقلية والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية»

المستشرقون وعلم الشرق

نشرت الزهراء (ربيع الاول وجه ١٠) محاضرة المستشرق ميكائيل انجلو جويدي من اساتذة جامعة رومة والجامعة المصرية القاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة عنوانها «علم الشرق وتاريخ العمران» وهي الحلقة الاولى من سلسلة محاضرات غرضها التعاون بين الشرق والغرب في تاريخ التمدن . ومما راقنا في مقال الاستاذ جويدي ما فهمناه من كلامه في تحديد معنى علم الشرق ولفظة مستشرق

علم الشرق ليس مقصورًا على مجرد درس اللغات او اللهجات او تقلبات تاريخ بعض الشعوب ، كلا بل هو الوقوف على الحياة البشرية الفكرية في اصلها ونشأتها ونموها ودوامها في مظهر من مظاهرها السامية التي بها تلك الصيغة التي يبرزها في بلاد الشرق . واعلم ان كلمة الشرق تحتمل معنيين المعنى الواسع وهو يشمل بلادًا عديدة تجدها من الشرق الاقصى الى المغرب في مراحل عديدة وفيها ما فيها من التشابه والعلاقات بحياة الانسان الروحية والدينية والعلمية والاجتماعية مما يجعل تلك الشعوب تمت بعضها الى بعض بقرابة ادنى منها من قرابتها الى عالم الغرب

اما الشرق بالمعنى المحصور الذي نعبر عنه إذا تكلمنا في تاريخ العمران «فانما هو الشرق الادنى الذي له ارتباط بالبحر المتوسط .»

« وليس صاحب علم الشرق [او المستشرق] الجدير بهذا اللقب بالذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة او يستطيع ان يصف غرائب عادات بعض الشعوب بل انما هو من جمع بين الانقطاع الى درس بعض انحاء الشرق وبين الوقوف على القوى الروحية الادبية الكبيرة التي اثرت على تكوين الثقافة الانسانية . هو من تعاطى درس الحضارات القديمة ومن امكنه ان يقدر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى مثلًا او في النهضة الحديثة . »

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الثالث

بدور وغانم (تابع)

استعدَّت السيدتان لوصول الزائر العزيز ، ولبثتا منتظرتين نحو الساعة فلم يحضر . فقلق بالهما وجعلت الافكار المختلفة تنتاب مخيلتيهما المختلفتين ايضاً . كانت سعدى تعرف ان البلاد في حالة حرب لا يُعرف مصيرها ، وان حزب الامير بشير او حزب زوجها وصديقه الشيخ بو غانم ، يقوى يوماً ويضعف آخر ، وان الجزّار لم يرضَ عنه بعد ، فخافت ان تكون تلك الزيارة غير المنتظرة نتيجة معركة سيئة ، او مؤذنة بعقدة جديدة من عقد تلك السياسة الصعبة . اما بدور فلم تكن لتنتبه للسياسة وملاويها ، ولا للحرب واهوالها . ومع ذلك فانها كانت قلقة جداً . ولم يكن من سبب للقلق سوى انها خافت ان يكون ابوها غضب على غانم فمنعه من زيارتها ... سببٌ تافه لمن فكر بعقله . ولكنها لم تكن تفكر حينئذٍ الا بقلبها ، فلا تتصوّر الّا ذاك السبب

على ان مجرى تلك الافكار المشؤومة لم يطل ، اذ قطعه صوت غانم يدوّي في الممرّ الخارجي مداعباً كلب بدور . فسرّي عن الاثنتين والتفتتا الى جهة الباب ، فوقف نظرهما على الامير جهجاه ، والى جنبه الشاب وقد افترّ ثغره ،

وغرقت عيناه في حجاجيهما وراء وجنتيه المنفرجتين من الفرح والسرور . وكانت اولى حركاته ان اكبَّ على يدَ « امرأة عمه » يقبلها ، فقبلته في نقرته داعيةً له ، سائلةً عن جدّه . ثم مدَّ يده الى بدور فتلقتها باضطراب ظاهر ، بعد ان اطرقت حياء مجيبةً بكلماتٍ متقطعة خافتة عن السؤال عن صحتها ، الذي القاه غانم بكلمات لا تقل تقطعاً وخفوتاً

وبعد ان دار الحديث دورته فبدأ بالاسئلة عن الأسرتين جميعاً ، وانتقل الى الاحوال السياسية ، والاشاعات المختلفة عن مساعي ابناء الامير يوسف ، ومقاصد الجزّار ، مما لم يكن يهمّ غانماً ولا بدوراً ، ظهرت بوادر الصمت على هاذين . وكان الامير جهجاه يفكر باعداد مطلوب الشيخ بو غانم ، فترك الردهة واعداً بقرب الرجوع ، وخرج الى غرفته الخاصة بعد ان دعا امينه سعداً وبدأ بتعبئة المال في اكياس من التبن

* * *

ثم خرجت الست سعدى الى المطبخ تلقي على الخدم بعض الاوامر لتهيئة الغداء . فلم يبقَ في الغرفة الّا بدور وغانم ، وكأن رهبة اللقاء غير المنتظر عقدت لسانيهما فلبثا صامتَين دقائق كلّ يهمّ بمخاطبة الآخر ، فيهاب ان يقطع مجرى افكار رفيقه ، حتى تململت بدور فقالت :

— ولماذا لم تعلمنا بزيارتك هذه يا غانم ؟

فاضطرب هذا قليلاً ، والتفت اليها بسرعة ، مرتاحاً الى الخروج من ذاك الموقف الصعب ، فقال :

— لانني لم اكن افكر بالمجيء اليوم ! ولم يعلمني جدي بضرورة هذه الزيارة الّا امس مساء

— لا بأس عليك ! وستعوّض عن هذا التقصير غير المقصود بطول الاقامة عندنا

فهزّ غانم رأسه ونظر اليها بعينين احاط بهما اليأس . ثم اجاب بصوت ترجرجت فيه نبرة الاسف والاستسلام

— يا ليت !

وسكت ...

فنظرت بدور مضطربة واجفة ، وحدقت اليه مستفهمة بكل جوارحها ، فتابع :

— دعاني جدي امس مساء فأخبرني بوجوب المجيء اليكم هذا الصباح ، وامرني بالرجوع باسرع ما يمكن من الوقت . وانا لولا احترامي ارادة الامير جهجاه لما انتظرت حتى الآن

فلم تفهم بدور غاية هذه الزيارة ، ولا سبب ذاك الامر بالرجوع السريع . ولكنها لم تشأ التطفّل ، لعلمها ان في علاقات الرجال اموراً لا يجدر بالنساء التشوّف اليها . ولكنها احست بما ظهر على ملامح غانم من الاسف على تركه بيت الامير جهجاه ، وشعرت بما بدا من كلماته من الايجاس من تلك السفرة . ففهمت ، بفضل تلك الحاسة الشفّافة الدقيقة التي تختص بها النساء ، فيدركن الخطب قبل وقوعه ، ويتنبأنَ — اذا صحّ التعبير — عن المصيبة قبل نزولها . حدثها قلبها ان غانماً مقدم على خطر غير معروف ، وان بين زيارته لهم وما تجتنه لها الايام علاقةً محزنة ، وصلةً لم يتضح منها بعد الّا سوء وقعها . اذ ذاك بدت تتلاعب بها اشكال من الظلمات التي تتقدّم الطوارئ النازلة ، فتتنقل بها في انواع الرزايا من قتل ، وحرق ، وسبي ، وخراب ، ويعزّز تلك السلسلة المشؤومة حالة الحرب الحاضرة ، فتظهر تارة جلية تقرب من نتائج الهذيان ، وطوراً ملتحفة بستار كثيف من الغموض لا يلبث ان ينبسط واسعاً فيستر عنها كل شيء حتى غانماً نفسه ، فتدخل اذ ذاك في منطقة الظلّ الثقيل المزعج الذي يتقدّم دائماً كل مصيبة فادحة

اما غانم فكان لا يقلّ عنها حزناً ، ولكنه كان يفوقها صبراً واحتمالاً ، لانه يعرف سبب حزنه . فكان ينظر اليها بعطف ، فلا ينكر على سكينتها شيئاً سوى ما يراه من اصفرار الصدغين ، وجمود المقلتين . فيندم على تفوّهه بتلك الأنّة ، واصعاده تلك الزفرة ، ويهمّ بمتابعة الحديث معها . ولكنه يجفل محترماً سكوتها ، اذ يرى نظرها التائه امامه في حنايا الدهشة ، الهارب من منافذها الى ما وراء الافق البعيد . ولشدّ ما كان فرحه عظيماً حين سمع وقع

خطوات امرأة عمه عائدة من مهمتها ، فتنفس مرتاحاً الى سبب الخلاص من ذاك الضيق بينا كانت بدور تستعيد قواها بسرعة ، مظهرة امام امها كل سكينة ووقار .

ولم تلبث الام ان اعادت الحديث الى مجراه السابق صارفةً عن القلبين الفتيين اكثر ما علق بهما من خوفٍ وأسى

***

وما قرب الظهر حتى اقبل الامير جهجاه والبشر يتدفّق من وجهه ، فقال لغانم :

— قد تمّ كل شيء !

ثم التفت الى امرأته فسأل

— وهل الغداء حاضر ؟

فاومأت برأسها ان نعم

اذ ذاك تحوّل الجميع الى قبو فسيح . فتربعوا على بساطٍ ثمين فرش ارض القبو من الزاوية الى الزاوية . فاقبل احد الخدم بشرشف من الصوف الابيض زُركشت اطرافه بالقصب ، وعلّقت في حواشيه دوائر صغيرة من البرق اللماع ، فبسطه امام الجالسين . ورجع حاملاً طاولة قصيرة القوائم من خشب الجوز المصقول المطعّم بفلق اللؤلؤ الصافي ، المنقوش في معامل دمشق . ووضع عليها « صدرًا » من النحاس السميك ، وهو منقوش ايضاً ، وعلى دائره سلسلة مشاهد لبعض المعارك تمثل الخيّالة بالسيوف والرماح يتضاربون ويتطاعنون . ثم اقبل ثلاثة من الخدم بالصحاف الفخّارية الواسعة فيها الالوان المختلفة من الاطعمة اللبنانية القديمة ، ورائحة الابهار والافاويه تفوح منها هائجةً القابلية . فدار الاربعة حول الصدر يلتقمون بايديهم من الصحاف ، حتى شبعوا ، فرفعت . وقدّم لهم صحفة من العنب « الجوزاني » الفاخر ، وهو نوع ممتاز كان يرغب فيه الامير جهجاه ويبقي قسماً منه الى الشتاء فيقوى على البرد اذا ما « كُبِست » عناقيده بقماش ضابط ، وصحفة من التين المشكل ، مع صحفة قُسم فيها رأس من بطيخ بسري المشهور ، فتناول كل كفايته وشكروا . فاتى الخادم بابريق من النحاس

الاصفر المزخرف المخرَّم عنقه ، مع طسته ، فغسلوا ايديهم .ثمَّ تحوَّلوا الى الردهة الأولى

***

وبعد ان اديرت القهوة ، تناول الامير ماسورته يلتذّ بدخانها المتصاعد ، واقبل يروي احاديث بعض المواقع المشهورة من التي حضرها بنفسه او سمع روايتها ممن حضرها . والسامعون يتلقّون تلك الحكايات بعجب وسرور ، وقد تملك الانشراح قلوب الجميع

فرح الامير برأى ابن صديقه ، وحفيد صديقه. وفرح لانه اظهر اريحيّته وكرمه بتلك الهبة ، فكان سروره مزدوجاً : سرور رجل أدّى خدمةً نصوحاً لصديق مخلص

فرحت الستّ بزيارة غانم وما غانم سوى صهرها العتيد ، وولدها المحبوب.

امَّا غانم وبدور فكانا فرحين وحسب .ولم يكونا ليفتشان عن سبب هذا الفرح العظيم الذي كاد يقشع ما تألّك عليهما من الكآبة قبل ذاك ، لو لم يقف الامير فيُعلن للجميع سفر غانم الى عكّا. بمهمة سياسية مخففاً ما امكنه وقع ذاك الخبر ، وذِكرَ ما يكتنف المسافر من المخاطر والمهالك

عند ذاك تحققت بدور سبب اكتئابها السابق ، وتمثلت لها التهلكة باروع مظاهرها . فعاودها ذاك الجمود في عينيها ، والانجذاب عن محيطها ، حتى انها مدّت يدها لوداع الراحل دون ان تشعر ، اذ اقبل نحوها ، بعد ان ودّع اباها وامها. فشدَّ غانم على يدها وأسرع الى الدار حيث كانت الفرس بانتظاره ، مع فرحات الامين ، وأحد خدم الامير يقود البغل الموقر مالاً . فركب مسرعاً ، وسار الجميع صامتين نحو قصر الشربين

الفصل الرابع

مجلس شورى

غابت شمس التاسع والعشرين من تشرين الاول سنة ١٧٩٣ على بضعة عشر فارساً متجهين نحو بيادر دير القمر ، يقودهم بيطْ الشيخ قعدان بو غانم ، وعن يمينه حفيده ، وبين يديه خادمه فرحات. وما ان وصلت الكوكبة الى اعالي ديربابا حتى وقف الشيخ وترجّل مستعيناً بيد حفيده . فترجّل الجميع وحدّقوا الى منحدرات الشحّار يفتّشون في معارجها الملتوية ، وبين اشجارها المتكاثفة ، عن خيالات الفرسان

وكان لحسن الحظ ان الضباب لم يتراكم ذاك المساء في الوادي الفسيح ، فظلّ نور الشفق يندفع قوياً من جهة بحر الدامور ، فيصبغ الجبال المقابلة بانوار لطيفة متكسّرة تتراوح الوانها من البنفسجي في اعالي القمم ، الى الوردي الزاهر في الاواسط ، الى الرمادي القاتم عند اقدام الجبال . وكانت ذرّات الغبار الدقيقة تترجرج في مجرى النور ، على طول الوادي ، فتسدل بين ابصار الناظرين وهدف النظر ، ستاراً شفّافاً متماوجاً يغلّف كل ما وراءه ، فيدوّر اطراف الزوايا البارزة ، ويقلّم اغصان الاشجار البعيدة ، فتظهر الجبال كانها تتراجع الى الوراء هاربةً من وقع الابصار . الى ان يتلاشى ما فيها من الطرق والمنعرجات امام هجمات الظلام الاغبر

وقف الخيّالة مدةً امام هذا المشهد بسكون وهيبة ، يسترقون السمع من النسيم الآتي علّه يحمل اليهم حركةً ممن ينتظرون ، الى ان اعياهم الصبر ، وحاروا في سبب هذا التأخر ، فالتفتوا الى الشيخ بو غانم ، وتقدّم منه احدهم فقال :

— ولعلّه يأتي من طريق غير هذا ؟

— لا ! لقد كتبَ اليّ انه يترك رأس المتن الى عبيه حيث ينزل على الامير قعدان . ومنها يسير الى بشامون فيزور الامير حيدر ملحم . ثم يأتي الينا الليلة . فلا ممرّ له اذن إلّا من هذا الطريق

عند ذلك تقدّم رجل كان بعيداً عن الحلقة ، وقال :

— اتيت الامس من الساحل ، وقد شاع فيه خبر مفاده ان الامير عزم على

التحوّل بالساكر الى بلاد جبيل . فاستغربت هذا العزم اذ كنت عارفاً بقصده الينا الليلة . واردت تحرّي الخبر فلم اوفق الى تأييده او انكاره ، غير اني سمعته يتردّد بسرعة فيخاف الناس من نتائجه ، ويهتمّ اهل الساحل بتوقّل الجبال ، واهل الجبال بالانحدار الى الساحل . لان ناشر الخبر لم يذكر الطريق الذي يسلكه الامير

ولم ينهِ المتكلم خبره حتى شاهد المجتمعون ، على آخر اضواء الشفق ، ملامح الشيخ بو غانم تنفرج بسكون ، وشفتيه تحطّان تحت الشاربين علامة الاستئناس ، ونور الحبور يلمع من عينيه شأنَ من غامر في امرٍ خطير ونجح النجاح التام . فنظروا اليه مستفهمين ، فقال :

— تلك اشاعة رغب فيها الامير ذاته . ولا يخفى عليكم ان بلاد جبيل لم تطهّر بعد من نفوذ اولاد الامير يوسف ، فلا تزال بحالة القلق والاضطراب . كما انه لم يحن الوقت لترك بلاد المتن ، ولم يفتأ بعض اللمعيين والنكدية يعيشون فيها . ولمّا كان قصد الامير ان يأتي الليلة لعقد المجلس ، رأى من الموافق ان يذيع بين القوم انه قاصد ناحية جبيل لكي يصرف افكارهم عن الاتجاه الى دير القمر ، بينا يشغلهم في التكهن عن الطريق الذي يسلكه . فيصيب الهدفين في آنٍ واحد : يدخل دير القمر فيستشير اعوانه ، ويموّه على اعدائه خافياً عليهم وجهة ذهابه

فعلت سيماء الحبور وجوه السامعين ، وهزّوا رؤوسهم معجبين بمهارة اميرهم السياسية ، وكلهم يتمنى ان تقصر دقائق الانتظار فيمتّع ناظريه برأى المولى ، ويشنّف مسمعيه بصوت الآمر الناهي . ولم تطل تلك التمنيات حتى شعروا بتحقيقها ، اذ سمعوا وقع حوافر تصعد الجبل بخفة فتتجاوب اصداؤها في المنخفضات . فأنصتوا . واذا بفارس يعلن لهم وصول الامير . فاعتلوا صهوات خيولهم بسرعة ، وجمدوا مصطفّين في مكانهم ، راقبين بين اغصان الزيتون المغبرّة ظهور كوفية الامير

(لها بقية)

شذرات

اضخم قطعة نقود في العالم

دعا السيد فران زرب رئيس الجمعية النقودية الاميركية السابق، واحد العاملين بجمع نقود العالم الجديد الى اقامة معرض نقودي في نيويرك كان اعظم ما عرف من نوعه اذ جمع ٣٠،٠٠٠ قطعة مختلفة، مثلت وسائل المعاملات بين البشر منذ خمسة آلاف سنة الى اليوم، في جميع المناطق السياسية والجغرافية من الارض. فكان الزائرون يعجبون بتلك الآثار الشائقة، من الشهادات التجارية القديمة الى الخواتم المعدنية والنقود الكروية، الى مصكوكات دول اليونان، وقياصرة الرومان، وقدماء الاميركان، الى الاوراق النقدية والحوالات المالية الموقعة بامضاء مشاهير الاميركين كواشنطون، ولنكلن، وروزفلت، وامثالهم. واغرب ما ظهر في ذاك المعرض نقود الشاي في بلاد التبت، ونقود الحرير في منغولية، ونقود الجبن في الصين. واغرب الغرائب قطعة نقود من النحاس ضربت في اسوج سنة ١٦٥٢ بقيمة ٨ تليرات، او دولارات، على ان غرابتها ليست بقيمتها بل بضخامتها، فهي تزن نحو ١٥ كيلوغراماً بعرض ٣٠ سنتيمتراً وطول ٦٠ سنتيمتراً. فتكون دون شك اضخم قطعة نقود معروفة في العالم

اول كاهن وطني في بلاد الداهومي

احتفل مؤخراً في ويداه من بلاد الداهومي برسامة الاب توما موليرو، وهو اول كاهن وطني من تلك البلاد. وقد حضر تلك الحفلة الاولى من نوعها جمهور غفير من الداهوميين النصارى والوثنيين، فشكروا جميعهم للمرسلين اهتمامهم ببلادهم وغيرتهم على العنصر الوطني فيها. اما الكاهن الجديد فهو محرر المجلة الداهومية المدعوة «اعتراف افريقية بالجميل» وله مقام معتبر عند علماء الديانات في اوربة، لما تنشره من المعلومات الجديدة النفيسة عن ديانات القبائل المختلفة في بلاد العبيد.

أسئلة وأجوبة

سألنا من بوينوس ايرس (الارجنتين) حضرة الاديب السيد فؤاد حدّاد :

١ً – هل صدر الجزء الثالث من كتاب الآداب العربية للمرحوم الاب لويس شيخو ؟

٢ً – هل صدر الجزء الثالث من كتاب تاريخ الصحافة العربية للفيكونت دي طرّازي ؟

٣ً – ما هو احسن كتاب في تاريخ آداب اللغة العربية ؟

كتب في الآداب العربية

ج : ١ً – نظنّ ان مرادكم « بالجزء الثالث من كتاب الآداب العربية للمرحوم الاب لويس شيخو » ما كان ينشره تباعاً في المشرق عن الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين . فاذا كان ذلك ، نفيدكم ان هذا الجزء لم يصدر بعد على حدة . وقد كان ، رحمه الله ، اوشك ان ينهي طبعه لما وافاه داعي ربّه . على اننا سنجتهد في اصداره قريباً خدمةً للآداب العصرية

٢ً – كان الفيكونت دي طرّازي باشر طبع الجزء الثالث من كتابه سنة ١٩١٤ ، فاوقفته الحرب . وهو مستعدّ ان يتابع عمله ، ويُظهر الكتاب قريباً

٣ً – امّا « احسن كتاب في تاريخ اداب اللغة العربية » فمن الصعب ارشادكم اليه لاننا لا نزال اليوم نتمنى صدور الكتاب الحسن في هذا الموضوع . على ان بين الكتب المطبوعة ما يفيدكم بعض الافادة ، وان قاصرة ، من ذلك كتاب بروكلمن بالالمانية (Geschichte der arabischen Litteratur, 1898) في جزءين ، وهو اشبه بجدول جافّ جامع لمؤلفي العرب واسماء كتبهم ، وكتاب هوار بالفرنساوية (Littérature arabe, 1902) وهو موجز يتوخى فيه صاحبه القاء نظرة على مجمل الآداب العربية ليس غير ، وكتاب المرحوم جرجي زيدان : « تاريخ آداب اللغة العربية » في اربعة اجزاء ، جمع كثيراً من المعلومات المتفرّقة ، ولكنه يكاد يخلو من النقد الادبي للمؤلّفات . وقد ظهر في نقده مقالات نفيسة في المشرق (١٩١١ و ١٩١٢ و ١٩١٣) . امّا ما سوى ذلك من التآليف المتعدّدة في آداب اللغة العربية ، من مختصر ومطوّل ، فلا تكاد تغني شيئاً لبُعدها عن روح الدرس الادبي الصحيح واقتصارها على جمع الاخبار والنوادر

مطبوعات شرقية جديدة

Fischer (Johann): Das Alphabet der LXX-Vorlage im Pentateuch. *Eine textkritische Studie.* [*Alttestamentl. Abhandlgn*, X, 2] *XVI*-120 *pp. gr.* 8°, 1924, *Münster i. W.*, *Aschendorff*, 6 M. 30.

أبجدية النص العبراني لاسفار موسى في الترجمة السبعينية

ينشر الاستاذ العالم جان فيشر من مونيخ في هذا المؤلف عملاً غاية في الافادة لنقد نص الكتاب المقدس . وهو يجيب عن السؤال التالي : لمّا قام العلماء السبعون في القرن الثالث ق. م. بترجمة اسفار موسى من العبرانيـة الى اللغة اليونانية ، هل كان النص امامهم مكتوباً بالحروف العبرانيـة القديمة ام بالحروف الارامية ؟ والسؤال في غاية الاهمية اذا اردنا اصلاح الاغلاط في النص العبراني الحالي المسمى الماسورتيكي ، المكتوب بالحروف الارامية من النوع المربع (١) وهو من الصعوبة بمكان لانه ليس لدينا سوى نسخ حديثة عن الترجمة السبعينية ، ومن جهة اخرى لان النصوص الماسورتيكية المخطوطة التي لدينا لا ترقى الى ابعد من القرن العاشر للمسيح

امّا غاية المؤلف فهي البرهان على ان ابجدية الترجمة السبعينيـة لم تكن العبرانية القديمة كما ذهب اليـه بعضهم ، ولا السامرية ، بل كانت نوعاً من الارامية يقرب من الابجدية المربعة . وكي يبرهن على ذلك يعرض الاختلافات في نصوص التوراة والمقابلة بينها فيما يختص باسماء العلم ، وفي بعض مقاطع اسفار موسى ، ثم يُظهر ان الاختلافات ، او الاغلاط المنسوبة للنقلة — سواء كان

١) اننا ، إفادةً لقرائنا الشرقيين غير المطلعين على هذه الامور ، نذكر ان الابجدية العبرانية القديمة لا تختلف كثيراً عن المثال الفنيقي المعاصر . اما الابجدية الارامية فان اقدم مثال لها يشبه تقريباً الابجديتين السابقتين. ولكن نحو القرن السابع الى السادس ق. م. اخذت هذه الابجدية الارامية بالتطور حتى عهد الفرس ، فانتشرت في كل مكان من آسية الصغرى ، وبابل ، واشور ، وفلسطين ، وسورية . وقد ظهرت في دروج البردي المكتشفة في إليفنتين قرب أسوان. وبعد ذلك تطورت تلك الابجدية ايضاً فتحولت ، في زمن المسيح ، الى الابجدية المربعة ، وهي ابجدية التوراة العبرانية في عصرنا

بالنصّ العبراني او اليوناني — يمكن شرحها ، في غالب الاحيان ، باستعمال الابجدية الارامية المختصة بالعصر الحديث ، اي في نحو القرن الثالث الى الثاني قبل المسيح. ولمّا كان المؤلف يرغب في ايضاح هذه المسألة الاخيرة ، أُجبر على ان يضيف الى عمله جدولاً قابل فيه بين جميع الابجديات السامية في فروعها المختلفة من فنيقية وارامية مهتمًا خاصةً بهذه الاخيرة ، متتبعاً اياها الى ما بعد المسيح .

هذا واذا ضُرب صفحاً عن بعض الامور الثانوية التي قد تكون عرضةً للانتقاد ، سواء في البراهين او في الحوادث ، يمكننا القول ان المؤلف برهن على صحة نظريته . ولمّا كان الشيء بالشيء يُذكر اراني محمولاً على الاشارة الى تذكار شخصيّ قد يروق للمؤلف . وذلك انه لمّا كنت طالباً في اول شبابي ، بدأت درس نصّ التوراة في اللغة العبرانية ، وأخذت على نفسي كتابة اسفار موسى كلّها بالابجدية الفنيقية القديمة وبالابجدية العبرانية القديمة ايضاً ، مؤمّلاً ، بتلك الطريقة ، ان اكتشف على سبب الفروق والاختلافات والاغلاط الموجودة في نسخ التوراة المختلفة . على اني ما كتبت نحو العشر الصفحات حتى شعرت ان الكتابة القديمة لا تشرح شرحاً كافياً تلك الاختلافات ، وانه من الاوفق العدول عنها الى الكتابة الارامية المعاصرة لزمن البردي اي للقرن الثالث قبل المسيح . وتلك نتيجة تتّفق تمام الاتفاق مع نتيجة استاذ مونتيخ (١ . فاليه نقدّم جميع تهانينا ونتمنى ان يزيدنا اعمالا وضعية من هذا النوع س . ر

Paul Nourrisson : Histoire légale des congrégations religieuses en France depuis 1789. 2 *vol. in*-8° 1928. *Paris, Librairie du Recueil Sirey.*

التاريخ القانوني للرهبانيات في فرنسة منذ سنة ١٧٨٩

اشتهر مؤلف هذا الكتاب ، وهو محامٍ لدى محكمة الاستئناف ، بالابحاث النفيسة التي نشرها في مسائل حرية الجمعيات والرهبنات . وما كتابه الحديث

١) يبتدئ المؤلف ، في الجدول الذي قابل فيه بين الابجديات ، بذكر حروف سيناء . وهو اهتمام لا لزوم له لاستعصاء تلك الحروف على القراءة . على انه فاته ذكر اقدم كتابة فنيقية ، وهي كتابة ناووس أخيرام ، المكتشف في بيلوس ، وذلك لانها لم تكن عُرفت بعد

عن التاريخ القانوني للرهبنات في فرنسة الآثر مهمّ في تاريخ فرنسة العام في القرن التاسع عشر . فهو ينير بكل جلاء مسألة غريبة عجيبة الا وهي ان بلدًا كفرنسة ، مشهورًا بتساهله وحبه للحرية حتى انه يفاخر الغير بكونه اول من نشر في العالم معنى الحرية الحقيقية ، بقي متأخرًا عن باقي البلدان فيما يختص بالحرية نفسها ، اذ ضيّق على الجمعيات الدينية ذاك التضييق المعروف . ولقد كانت جميع الحكومات التي تقلّبت في فرنسة سواء فيما يخصّ هذا التضييق . على ان قصبة السبق حازتها الجمهورية الثالثة بشرائعها المعلومة . هذا والكتاب حقيقٌ بان يقرأه ويتأمله جميع من تهتمهم المسائل الحقوقية كالمحامين ورجال السياسة . وان الكاثوليكيين يرون فيه اسباب الفخر الحقّ لان تاريخ الرهبنات ليس بتاريخ مؤسسة ميتة او على وشك الاضمحلال ، بل هو تاريخ جمعيات حية نامية باعمالها العديدة ، حية بصبرها على المعارضات وفوزها على جميع الهجات التي قامت عليها قصدَ إبادتها

ج . ل

Germaine Rouillard: L'administration civile de l'Egypte byzantine. Préface de Ch. Diehl. 2e *édit. revue, illustrée.in*-8°, XV-268*pp. Paris, Geuthner*, 1928.

الإدارة المدنية في مصر البوزنطية

ينتج هذا الكتاب من مقابلة بين القرار الثالث عشر الذي اصدره يوستنيانوس لإصلاح الإدارة في مصر ، والمعلومات الموفورة في مكتشفات الدروج البردية . وهو جديد في بابه ، ليس فقط بما فيه من وفرة الوثائق المستغلّة — وكلّ يعلم زيادة المعلومات البردية — بل ايضاً بالتقسيم الذي اختارته المؤلفة . فان الآنسة رويلار اضافت الى وصف المؤسسات المدنية (كالتقسيم الإداري ، والمالية ، وضريبة الحنطة ، والعدلية)وصف العادات الادارية في مصر البوزنطية ، من ذلك : اخلاق السكان الصعبة المراس ، المشبعة بروح التذمر والاحتدام ، وجور الموظفين ، وضعف السلطة المركزية بما يجرّه من الهفوات . ممّا انتج فساد تلك المؤسسات . فان بوزنطية لم تعرف ان تطبّق اساليب الإدارة التي انشأتها الامبراطورية الاولى ، في بلد كمصر طمحت الى ان تصير أمة

فرجعت الى الطريقة الاقطاعية . هذا وفي الكتاب جدول هجائي يفيد المتعمقين فائدة جليلة . اما التصاوير فغاية في الاتقان وقد نُقلت عن رسوم مصر التي قامت بها بعثة نابوليون ، وخصوصاً عن مجموعات متحف اللوفر غير المنشورة بعد

ر . م

Dr Konrad Lübek : Die christlichen Kirchen des Orients. *Sammlung Kösel n° 43.*

Dr Joseph Lippl : Der Islam. *Sammlung Kösel n° 92.*

Verlag Kösel et Pustet. München.

الكنائس المسيحية في الشرق – الاسلام

هذان كتابان من مجموعة « كوزل » الكاثوليكية المشهورة لا يستغني الواحد منها عن الآخر . فالاول يحتوي على اهمّ المعلومات عن الكنائس الشرقية وتاريخها ، وتنظيماتها وخصوصاً حياتها الدينية والادبية . على اننا نتمنى ان يُنظر مجدّدًا في هذا التأليف فيُستفاد ممّا حصل من التغيير منذ الحرب الكبرى . وهناك تطوّرات لم تتم بعد فيمكن انتظار انتهائها من يوم الى آخر

امّا الاسلام ، وهو موضوع الكتاب الثاني ، فتأليف احدث من الاول لانه كُتب إبّان الحرب وجميع الاوربيين يتوقون الى معلومات وافية عن تلك الديانة . فاهتمّ المؤلف باختيار اوثق المصادر والاستفادة من اقوال اشهر المؤلفين في تلك المادّة . وقد اورد مآخذه في آخر الكتاب وهي تامة حتى سنة ١٩٢١

Kévork Aslan : Etudes historiques sur le peuple arménien. *Nouvelle édition illustrée par les soins de* Fréderic Macler, *avec 16 pl. hors texte. Paris, Geuthner,* 1928. *Prix* : 60 *f*

دروس تاريخية عن الشعب الارمني

هذه طبعة جديدة لكتاب ظهر سنة ١٩٠٨ . وقد اكتفى السيد ماكلير بان اضاف بعض الاسطر بين معقّفين في النصّ الاصلي او في الحواشي . على انه قدّم الوثائق اللازمة لتزيين الكتاب بالصور والرسوم التي اوضحت بعض النقاط الخاصّة بالدروس الارمنية . امّا التأليف نفسه ، فيقسمه صاحبه الى ستة فصول

يسرد فيها بطريقة لاذة تاريخ الشعب الارمني منذ اصوله حتى غزوة السلجوقيين نحو السنة ١٠٥٠ ، وهو يعيّن مكان الحوادث الارمنية من التاريخ العام للدول التي كانت تارة تجاور تلك البلاد وطوراً تكتسحها وتحتلّها . وللمؤلف ميل للتخلص من الاساطير الشعبية يُشكر عليه ، وما كانت الاساطير بالاساس المتين للدروس التاريخية . ومما يستحق الثناء ما يبذله الكاتب من الجهود في تقرير اسماء بعض الاماكن ، او الاشخاص ، او الآلهة ، التي استعملتها بعض الشعوب في ازمنة متفاوتة . ولكن مما يؤسف له انه ، في ذكر مآخذه ، يكتفي بالاشارة الى عنوان الكتاب او اسم المؤلف دون ان يذكر بتدقيق رقم الصفحة . على ان العمل قيّم في مجمله وهو يظهر بمظهر جميل في ٣٤٠ صفحة بطبع متقن خليق بالطابع الذي اصدره الاب مصيريان

Dr Henry Aurenche : Vers Jérusalem. *in-8° écu de 244 pp. avec 20 cartes, plans et illustrations. Prix : 25 f^s. Paris, Perrin et C^ie, éditeurs.*

الى اورشليم

هي تذكارات زيارة للاراضي المقدَّسة قام بها رجل كاثوليكي ، فوصفها في هذا المجلد الجميل العصري . وهو يريحنا من قراءة تلك الصفحات المنمّقة الملأى بالعُجب والزهو التي يُكثر منها من تعوّدوا السياحات العديدة فقصدوا تلك الاماكن ووصفوها دون ايمان . امّا المؤلف فلاحظ كل شيء بدقة تخلو من العُجب ، وروى ذلك بنبرة لطيفة بسيطة تُظهر للمطالع الكلمات واللهجة الموافقة في مثل هذا الموضوع . فالكتاب جميل بكل ما فيه : بموضوعه ، وكتابته ، واعتناء الطابع به وهو اعتناء يُشكر عليه اذ انه توفّق الى وضع الصور في الصفحات الموافقة فزادت منفعتها ، وعدّد فيه الخارطات والرسوم . وعلى الجملة فان هذا التأليف يحتفظ بمركز حسن بين الكتب العديدة عن البلاد الشرقية ج . ل

اصول المراسلة في السريانية

نشرها لاول مرة حضرة القس اسحق ارملة السرياني

المطبعة السريانية في بيروت

ان حضرة الناشر معروف في عالم التأليف بكتبه التاريخية واللغوية باللغتين العربية والسريانية وقد متع قراء المشرق بكثير من مقالاته النفيسة وها انه اهدى الينا كتاباً جديداً هو مجموعة في فن التراسل بالسريانية لمؤلفها الربان يشوع بركيلو تلميذ دير الزعفران في اواسط القرن الثالث عشر ، يرقى عهدها الى العام ١٢٩٠ م ، اشتراها السيد قزحيان سنة ١٩١٥ ووقفها لدير بزمار بلبنان وهي تتضمن عدة رسائل وعناوين ومقدمات في مواضيع متنوعة نشرها حضرة القس اسحق بالشكل الكامل وعلق عليها الحواشي واتبعها برسائل يعقوب برشقاقو البرطلي ورسائل داود الربان واضاف اليها معجماً سريانياً وعربياً فقرب منالها من القارئ فاستحق الثناء . وقيمة الكتاب ليرة سورية ف.ت

القياس في الشرع الاسلامي

بقلم احمد بن تيمية ، ومحمد ابن قيم الجوزية

وسط ، ص ٢٣٥ — المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٦

يبحث هذا الكتاب ، وهو من قلم الامامين الحنبليين الشهيرين ، في عدة مسائل وافرة الصعوبة في الشرع الاسلامي ، كمسألة طلب اربعة شهود في الزنا ، والاقتناع بشاهدين فقط في القتل (ص : ١٠٩) ولماذا أُبيح للرجل ان يتزوج باربع نساء ، ولم يُبح للمرأة ان تتزوَّج باكثر من زوج واحد ؟ (ص : ١٣٥) . اماَّ مسألة عدد الإماء غير المحدود فتُشرح بانهنَّ « بمنزلة الاموال من الخيل والعبيد وغيرها » (ص : ١٣٥) . لماذا يقطع الكلب الاسود الصلاة ، ولا يقطعها غيره من الكلاب المختلفة الالوان ؟ (ص : ١٣٩) لماذا تُقطع يد السارق في ربع دينار ، ولا يُقطع لسان المجدّفين والقاذفين ، (ص : ١٤٧) لماذا لا تُعتبر المرأة في الشهادة الا نصف رجل ؟ (ص : ٢٢٠) لماذا تُعتبر الهرّة والفارة من الحيوانات الطاهرة ؟ (ص : ٢٢٦) : الى غير ذلك من

المسائل المجانسة والتي تحيل المطالع على حلّها في الكتاب المذكور ، فيرى ان حذاقة المؤلفين ولباقتها لا تتردّدان امام صعوبة ه.ل

فوائد منزلية

جمعه امين الغريّب

وسط ، ص: ٦٤٠ – مطابع قوزما ، بيروت ، ١٩٢٨

جمع حضرة رصيفنا الفاضل السيد امين الغريّب صاحب مجلة الحارس ، هذه الفوائد مما نشره في صحيفته قبل الحرب وبعدها . فاتى مجموعه سفرًا قيّماً وافر الفائدة لربّات المنازل في ادارة بيوتهن ، وهو مرتّب على ابواب تناسب غرف البيت المختلفة . فللزميل الفاضل اخلص الشكر عن تلك العناية ف.١٠ب

مُنتخبات الترجمة عربية وفرنسيّة

مع اسئلة الامتحانات العمومية في الترجمة لطلاب شهادة الدراسة الثانوية ، قسم اول ، جمعها ووقف على طبعها لفيف من الاساتذة – المطبعة الرحمانية بمصر ، يطلب من مدرسة القديس يوسف بالخرنفش .

لا حاجة الى الاسهاب في ذكر منافع الترجمة وهي تساعد على تمحيص الفكر واتقان اللغتين المنقول منها واليها . فمرحباً بالكتاب الجديد وقد انتخبت دروسه مدرجة في تبويبها مع مراعاة صعوبتها ومُهِّد السبيل اليها بترجمة بعض الالفاظ الصعبة موضوعة في رأس الدروس عدا الدروس المفروضة في الامتحانات العمومية ف . ت

قبض الريح

تأليف عبد القادر المازني

عني بنشره الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر

لقد اثرت فينا المدنية الغربية خيرًا وشرًا . فمنها اقتبسنا شعلة النهضة الحديثة بالعلم والعمران ومنها لسوء حظنا تسربت الينا بعض العوائد الذميمة في عالم التأليف فشغف بها بعض الكتبة وحذوا حذو الطبقات السفلى من كتبة الافرنج فشوهوا صحائف كتبهم بالصور الخلاعية وسودوها بما املته عليهم المخيلة من تصاوير وعواطف تخدر العقل وتذهب بالرأي السديد

اليك ما جاء في مقدمة هذا الكتاب :

« كتبت هذه الفصول وغيرها – وكثيراً غيرها – في الفترة الطويلة التي كان فيها شبح الماضي – اي نعم ، طيف الماضي – يعايشني . وكان اقرب جيراني الى نفسي ، السماء . وكنت يومئذٍ – وما زلت – في رقعة من الارض مدحوة للتفكير والاحلام والموت (ص:٧) . . . وهذا كان نصيبي من كل تعبي . . . قبض الريح ! . . . وقد خرجت كما سيخرج القارئ ، وكما سنخرج جميعاً من هذه الدنيا ، وليس في يدي شيء (ص:٩) »

وانك لتخرجن من هذا الكتاب ايضاً ايها القارئ اللبيب وليس في يدك شيء ! على ان صاحبه عالج فيه مواضيع متنوعة في الادب والفلسفة والاخلاق ولغته انيقة وخيالاته لطيفة وشعوره رقيق وهو يلج بك اليها من باب نفسه فتسير واياه في طلب حقيقة راهنة او حجة دامغة او عبرة تعتبر بها او مثل تقتدي به او ابتسامة تتوسم منها اشعة الامل ولكن لا يبلغ بك المجهود الا الى « قبض الريح » وما قبضتك الا صفقة المغبون ف . ت

نقد السائس والمسوس

نظم الحوماني : نقد – سياسة – اخلاق – اجتماع

مطبعة العرفان – صيدا

وصف مشرق العام الماضي ديواني الحوماني فأطرأ حماسة الشاعر وعبقريته وجودة نظمه في وصف الطبيعة والاخلاق . واليك كتاب آخر ، وليس هو دون الاول رشاقة في الالفاظ وغيرة على بث روح محبة الاوطان . واننا وددنا لو سمع المؤلف الفاضل نصيحة الاب شيخو فلم يتطرف بهياج الاهواء واثارة الحفائظ . قال في البارلمان (ص:١٨)

فيا مجلساً لم اجد بينه غيوراً على كرم العنصر
أأبكي على لغتي فيك ام على وطني ام على معشري

وقال في زعماء البلاد (ص:٢٢) :

اتعرف اصلاحها امّة يديل جا الحكمَ دجالُها
واشرافها تحت نير الهوان وفوق المنصات انذالها

ولذع المجمع العلمي بكلام مرّ فقال (ص: ٥٧) :

اذا جئت مجمع علم الشآم فكن مسلماً ثم مستملا
وان انت عارضت قول الرئيس خرجت وخلفك شهب السما
اذا شئت كونك عضواً به فمالٌ ذويه ولو بالملق
وما لم تحز لقب (البيك) لا تكنه ولو كنت رب الفلق

ونقده للحياة العصرية نقد المغالي الذي لا ينظر الّا الى قبائح الوجوه مع ان محاسنها في العالم كثيرة . فلذلك لن يوافقه الكثيرون . من سكّان جبل عامل ولا من غيرها من البلاد الّا البدو الرحالة في قوله (ص: ٦٦) :

وعدنا نعش في ظلال السوام كراماً ونركب ابكارها
نصيف فنشرب من درّها ونشتو فنلبس اوبارها
ونتخذ الطرف والفرش من اديم المعيز ومن شعره
فيغبطنا النجم في افقه ويحسدنا الملك في قصره

وودنا لو نزّه الشاعر قلمه عن بعض الاوصاف والتصاوير المخلة بالذوق السليم والآداب ف . ت

هدايا أرسلت الى المشرق

* رسالة رعائية في مظاهر الخلاعة * وجهها سيادة المطران انطون عريضه ، مطران طرابلس الى ابناء ابرشيته في ١٧ تموز سنة ١٩٢٨ — المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٩٢٨
* رسالة رعائية * وجهها سيادة المطران يوحنا الحاج ، مطران دمشق ، الى ابناء ابرشيته في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٨ ، وهي الاولى منذ تبوأ سيادته الكرسي الاسقفي
* تساعية للقديسة ترزيا الطفل يسوع * بقلم الاب مرتينوس سعد الوكيل العام ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٨
* نشرة لزيارة السيد ايليا ديب لاميركة الشمالية * لسيادة المطران افتيميوس ، في بروكلن ، نيويورك في ١ حزيران ١٩٢٨
* الدليل * مجلة شهرية جامعة تعنى بالشؤون الاقتصادية والعمرانية مديرها ورئيس تحريرها : توفيق ضعون يساعده نفر من صفوة الادباء والمفكرين ، سانباولو ، برازيل
* اضحك يضحك لك العالم * مجموعة هزلية مصوّرة انتخبتها مطبعة الهلال بمصر من صحفها الفكاهية
* ليلى ابنة الباشا * رواية معربة للقس بطرس زهر اللبناني ، مطبعة دير سيدة المعونات
* بحث في الكتب المحرّمة * للاب مارون كرم اللبناني كان نشره في البشير فجمعه على حدة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٢٨
* برنامج الجمعية الخيرية للقديس منصور دي بول في دمشق * عن سنة ١٩٢٧

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ ايلول — ١٥ تشرين الاول

في الشطر الثاني من الشهر الماضي أذيعت في العالم الكاثوليكي ، وفي شرقنا العزيز خاصةً ، رسالة الحبر الاعظم «في الاهتمام بترقية الدروس الشرقية» استهلّها الاب الاقدس بذكر المجهودات التي بذلها الكرسي الرسولي سحابة العصور الاخيرة في سبيل وحدة الكنائس وعرض فيها مشروع المعهد الشرقي الروماني على امل ان يبلغ صوته الابوي آذان ابنائه المتنائين فتتحرك قلوبهم وتهتدي عقولهم تلبية لدعوة الحبر الروماني الى التفاهم والاتحاد ليس فقط بين المسيحيين بل بينهم وبين الشعوب الغير المؤمنة بالرب يسوع

ومن الوقائع الدينية الواجب ذكرها المنشور الذي اصدره صاحب الغبطة البطريرك ملاتيوس للروم الارثوذكس في مصر الى ابناء طائفته من جميع العناصر موضحاً فيه مسألة توحيد الحسابين الشرقي والغربي وداعياً اياهم الى اتباع التاريخ اليولياني المصحح منذ اول تشرين الاول بحيث يُحسب ذلك اليوم الرابع عشر من الشهر نفسه. فبفضل ذلك المنشور تم في البطريركية الارثوذكسية المصرية الاصلاح الذي كان قد احدثه البابا غريغوريوس الثالث عشر عام ١٥٨٢ المعروف بالحساب الغريغوري

انقضت ايام عطلة الصيف بالراحة والسلم فلم يبلغنا عن سورية سوى استعداد من سمّوا انفسهم الكتلة الوطنية الملكية لمبايعة ملكٍ على البلاد وهي تطلب ان يكون ذلك الملك مسلماً ، والا لما اطاعه البدو ، « ولنزحت اكثر القبائل الى الاقطار المجاورة» ... ولكن متى اهتمّ البدو بأمر تشكيل الحكومة المركزية ؟ وهل يهمهم غير امر حياتهم العشائرية ؟

على ان الدروز في جبلهم لا يزالون باغلبيتهم يميلون الى البقاء على الحياد غير متصلين بسورية او تابعين لها. ويقولون انهم اذا انضموا الى سورية اضطروا الى دفع ضرائب تنوء اكتافهم دون حملها

ومن الظريف انه بينما ينادي البعض في الشام بالملكية ويطبلون ويزمرون

بالوحدة ، نسمع الاهلين في لواء الاسكندرونة يعربون عن رغائبهم بان يظلوا متمتعين باستقلالهم الاداري والمالي ، وهم في حمايته منذ العام ١٩٢٠ ، وداعيهم الى ذلك اختلاط الجنسيات والاديان مما لا يتفق والوحدة العربية المنشودة من الكتلة الوطنية

ولم يكتفِ اهل انطاكية برفع صوتهم بالمعنى نفسه بل رفعوا ايديهم ورجموا احد النواب السوريين المتحمسين للوحدة

وحدث في ٢٤ ايلول يوم عيد الغفران (يوم كبور) ان رجال الشرطة دخلوا في منطقة مبكى اليهود الشهير في اورشليم ليرفعوا حاجزًا انشأه اليهود في موضع واقع ضمن دائرة وقف المسلمين ومنطقة البراق (المبكى) ؛ فهاج الشعب اليهودي في فلسطين واحتج على اختراق حرمة المكان والزمان وردد صداه بعض المراجع الاسرائيلية في اوربة . مما يفيد ان المشاكل الدينيَّة لا تزال في الاراضي المقدسة شديدة عصية وليس انتشار الصهيونية ورسوخها في فلسطين مما يساعد كثيرًا على التقارب والتفاهم بين العناصر الوطنية وغيرها

وافادت اخبار بلاد الافغان ان الملك امان الله خطب في قومه فوصف رحلاته في اوربة ونوَّه بشراء مصنع لصنع السلاح واحصى المعاهدات التي عقدتها افغانستان مع الدول ونشر قانونًا أوجب فيه على جميع رعاياه ارتداء الالبسة الاوربية . وازداد نبذ النساء للحجاب واجيز لهن الاختلاط بالرجال في المجتمعات العامة

وطردت حكومة افغانستان جميع العلماء الهنود الموجودين في بلادها والعلماء الافغان الذين تخرجوا في مدرسة ديوبند . ومدرسة ديوبند هذه هندية انشئت من ثمانين سنة في قرية ديوبند من اعمال بلدة سهارنبور القريبة من دلهي وهي تدرّس العلوم الشرعية على الطريقة القديمة

وقد كان هؤلاء العلماء المطرودون من افغانستان يعارضون الاصلاحات الجديدة ويحرضون الشعب على نبذها

وافتتح شاه العجم طريق خورماباد وشهد الحفلة التي اقيمت لوضع الحجر الاساسي للخط الحديدي الكبير الذي يربط خليج فارس ببحر الخزر .

ف . ت